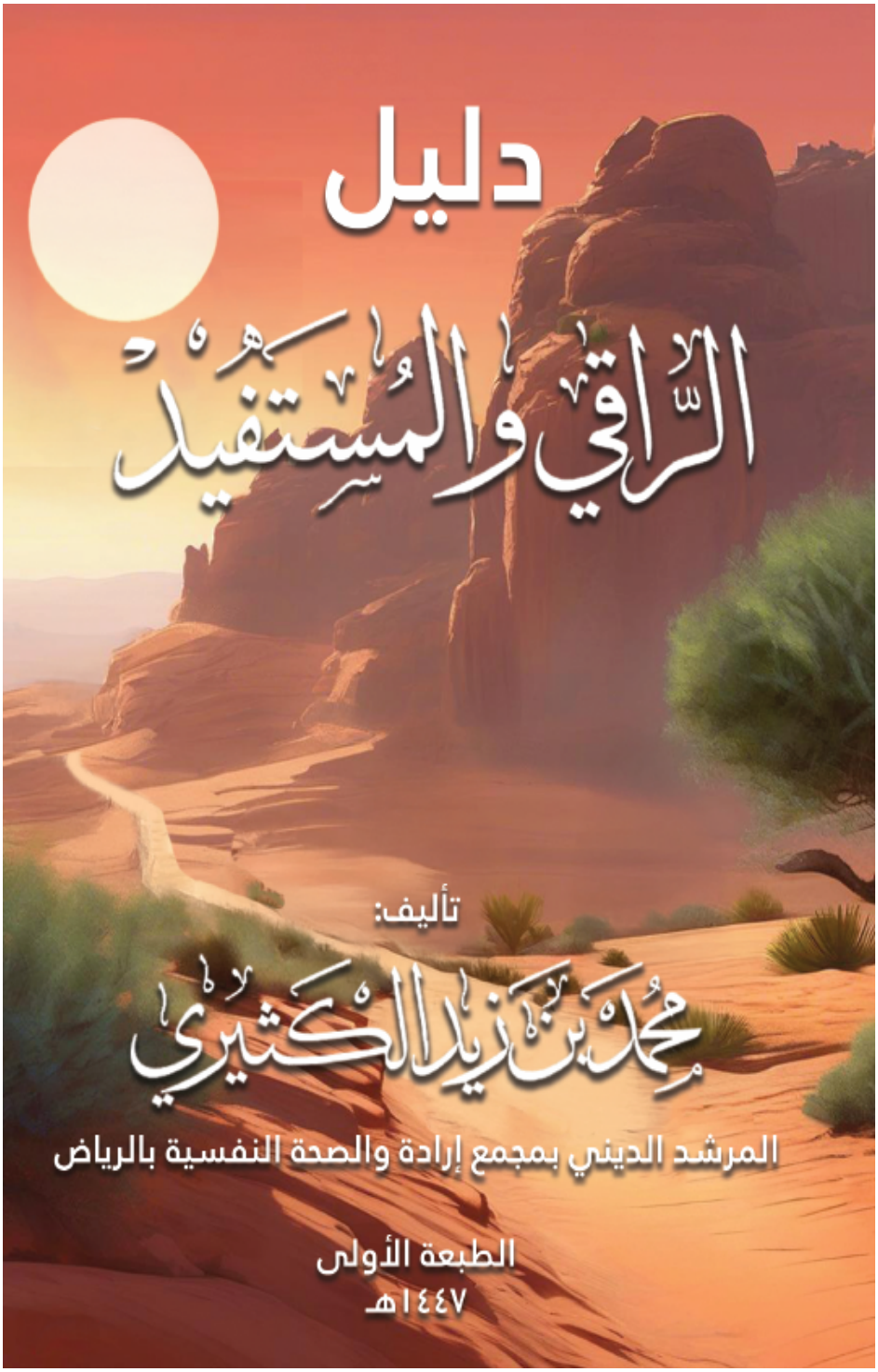
دليل
الرَّاقي والمُستفيد
تأليف:
محمد بن زيد الكثيري
المرشد الديني بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض
الطبعة الأولى
١٤٤٧هـ

ⓒ دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٤٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الكثيري، مُحَمَّد بن زيد

دليل الراقي والمستفيد. / مُحَمَّد بن زيد الكثيري – ط ١ –

مكة المكرمة، ١٤٤٧ هـ

١٦٠ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٣٧٩٣-٣-١

٤٥٩٣/١٤٤٧

رقم الإيداع: ٤٥٩٣/١٤٤٧

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٣٧٩٣-٣-١

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
وقفات حول الرقية الشرعية	٩
وقفة حول أثر الرقية الشرعية	٢٩
وقفة حول عداوة الجن للراقي المعالج	٣٦
وقفة حول الحكم الشرعي للجلوس في المقرأة	٣٧
وقفة حول العزائم أو كتابة الآيات	٣٨
وقفة حول أثر الدعاء والأذكار	٤٢
وقفة حول الرؤى والأحلام	٥١
وقفات حول الطب النبوي	٥٧
- العسل	٦٢
– الحبة السوداء	٦٥
– القسط الهندي	٦٦
– ماء زمزم	٦٨
- التلبينة	٦٨
– السَّنا	٧٠
– زيت الزيتون.	٧١
– الكمأة.	٧٢
– التمر.	٧٣
– ألبان الإبل وأبوالها.	٧٤
– الصبر	٧٤

الموضوع	الصفحة
– الكَبَاث.	٧٦
– الملح.	٧٦
– الحجامة والكيّ.	٧٧
وقفة حول حقيقة تلبس الجن بالإنس	٧٨
– صرع الجن	٧٩
– لغات الجن	٨٥
– الصرع العصبي.	٨٧
وقفة حول أثر مجالس الذكر	٨٩
وقفة حول العين والحسد	٩٤
وقفة حول أثر إصابة العين	١١٢
وقفة حول أثر السحر	١٢١
وقفة حول رؤية الجن بين الحقيقة والوهم	١٣٠
– أثر تعاطي المخدرات	١٣٧
وقفة حول أثر الوهم	١٣٩
وقفة حول العلاج بالتخييل	١٤٥
– شبهة والجواب عنها	١٤٧
وقفة حول المقارنة بين المصاب بتلبس الجن أو السحر أو العين والمريض النفسي وغير المريض في أثناء الرقية	١٥٠
وقفة حول أثر المعصية	١٥٥
وقفة حول أثر الفراغ	١٥٧
وقفة حول الأخطاء الشائعة	١٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

الحمد لله الذي أزهق أباطيل الكهان بالفرقان ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[١].

بعدما صدرت بفضل الله ﷻ الطبعة الخامسة لكتابي (**نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي**)، وكذلك الطبعة الثانية للمختصر، أشار عليَّ بعض الفضلاء من أهل الاختصاص أثابهم الله بانتقاء بعض الوقفات وكذلك إضافة ما لم أتطرق إليه من قبل، وتسليط الضوء على الراقي المعالج، وكذلك المستفيد.

(والمستفيد) مصطلح يطلق على المريض في بعض الجهات العلاجية، ويستخدم كذلك على المراجع في البنوك وشركات الاتصالات ونحوها. والمراد باستعماله في عنوان هذا الكتاب، هو التفاؤل باستفادة المريض من محتواه، ولعله يكون طريقًا إلى الشفاء العاجل بإذن الله ﷻ، كما كان الفأل الحسن هو هدي النبي ﷺ[٢].

---

(١) سورة الإسراء: (آية ٨١).

(٢) انظر: (ص ١٢٥).

كما أنه لا يفوتني في مطلع هذا الكتاب أن أرفع أسمى كلمات الشكر والتقدير والعرفان إلى ولاة أمرنا حفظهم الله نظير الجهود المباركة التي يبذلونها للوطن الغالي ولاسيما المرضى.

هذا، ومن أراد زيادة تفصيل في العلاقة بين العين والسحر والمس من الجن والاضطرابات النفسية فليرجع إلى أصل الكتاب (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي) على الرابط:

.Https;//shorturl.at/hkNq

ومن كان عنده زيادة علم فليجُد به علينا مشكوراً، ومن الله وحده أستمد العون والسداد والتوفيق.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

محمد بن زيد الكثيري
المرشد الديني بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض
١٤٤٧/٢/١٧هـ
٢٠٢٥/٨/١١م

https://www.tiktok.com/@user1011397298172?-t=8s1UNij2CK08&-r=1

تويتر: @alkathirimoh

واتس: ٠٠٩٦٦٥٣٤٠٢٠٠٣٠

https://youtube.com/chennel
/UC3wx48ZIFTyk6AmjwtwfNhA

وقفات حول الرقية الشرعية

قالت عائشة ﵂: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله، نفث عليه بالمعوذات»[(١)].

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «ذلك أن الشفاء إنما يحصل لمن يتعمَّد الدواء، وهم المؤمنون، وضعوا دواء القرآن على داء قلوبهم»[(٣)].

وكذلك قال ابن القيم ﵀: «ومن هنا لبيان الجنس، لا للتبعيض، فإن القرآن كله شفاء، كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٤)] فهو شفاء للقلوب من داء الجهل، والشك والريب، فلم يُنزِل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أسرع في إزالة الداء من القرآن»[(٥)].

ويقول ﵀ في موضع آخر: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهَّل ولا يوفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً.

وكيف تُقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدَّعها، أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض

(١) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: رقية المريض بالمعوذات والنفث، رقم: ٢١٩٢، ٤/ ١٧٢٣.

(٢) سورة الإسراء: (آية ٨٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٣).

(٤) سورة يونس: (آية ٥٧).

(٥) الجواب الكافي، (ص ٣).

القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دائه وسببه، والحِمية منه لمن رزقه الله فهماً في كتابه »[١].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾[٢].

قال العلامة عبدالرحمن السعدي ﷺ تعليقاً على هذه الآية.

«يعِظ تعالى عباده بذكر حال المحتضر عند السياق، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، ولهذا قال: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: من يرقيه من الرقية لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية»[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًاۗ﴾[٤] قال ابن كثير ﷺ في تفسيره: «ولو كان من صفات كتاب من الكتب الإلهية أن تزال به الجبال عن أماكنها، أو تشقق الأرض فتستحيل أنهاراً وعيوناً، أو يقرأ على الموتى فيصيروا أحياء – لكان هذا القرآن المنزل عليك – أيها الرسول – فهو واضح البرهان، عظيم التأثير لو أنهم كانوا أتقياء القلوب، لكنهم جاحدون. بل لله الأمر كله في إنزال المعجزات وغيرها»[٥].

وقال ابن الجوزي ﷺ: «من لم يعْتزّ بطاعة الله لم يزل ذليلاً، ومن لم

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٨٧٥.

(٢) سورة القيامة، الآية ٢٦.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٠٠).

(٤) سورة الرعد (٣١).

(٥) مختصر تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٣).

يستشفِ بكتاب الله لم يزل عليلاً»[١].

وقال عامر بن عبدالله رحمه الله: «من لم يتعزَّ[٢] بالقرآن عن الدنيا تقطَّعت نفسه على الدنيا حسرات»[٣].

والقرآن الكريم عالج أعظم داء وقعت فيه البشرية وهو الشرك بالله سبحانه وتعالى، فكيف بغير الشرك من الأدواء؟! قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا – ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها – «**بسم الله، تربة أرضنا بريقة[٥] بعضنا يُشفى به سقيمنا بإذن ربنا**»[٦].

وقد ورد سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية رقم (١٨٤٥٠) ونصه:

«س: كثر في هذه الأيام أدعياء الطب من غير الأطباء المعتمدين من قبل

---

(١) التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (ص ٣٨).

(٢) (تعزَّى): في المعاجم العربية لها أكثر من معنى بحسب السياق، تعزَّى بالصبر: أي تصبَّر لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٥٢).

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل رحمه الله (ص ١٨٤).

(٤) سورة إبراهيم: (آية ١).

(٥) قال جمهور العلماء: (أرضنا بريقة) المراد بأرضنا هنا جملة الأرض، وقيل: أرض المدينة خاصة لبركتها، والريقة أقل من الريق، ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح. شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/ ٤٠٤).

(٦) صحيح البخاري برقم (٥٧٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١٩٤) واللفظ له.

وزارة الصحة، ونظراً لخطورة فئة منهم على العقيدة الإسلامية، فإنني أرجو أن أسمع رأي ديننا الإسلامي الحنيف في من يدعي أنه يعالج الناس بالكتاب والسنة ويقوم بفحص المرضى رجالاً ونساءً، وتشخيص أمراضهم ويصف لهم علاجات، ويقرأ لهم في الماء والعسل وغيره، مع أنه قد لا يعرف أصول الدين أو كيف يأخذ من الكتاب والسنة، على سبيل المثال: سمعت شريطاً لأحد المشايخ يقول: إن علاج القلق هو أن يقرأ المريض كل يوم جزءً من القرآن وتفسيره من ابن كثير، فكيف يكون أصل هذا العلاج من الكتاب والسنة؟

ج: رقية المريض بدنياً أو نفسياً أو من عين أو سحر أو غير ذلك لا بأس بها إن كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية الصحيحة، وإذا كان ذلك ممن يُعرف بالعقيدة السليمة والالتزام بالأمور الشرعية، والمعرفة بأمور الطب فيما يخصّ التداوي بالأدوية المباحة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١ - أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

٢ - وأن تكون باللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره.

٣ - وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

واختلفوا في كونها شرطاً، والراجح أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة، ففي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نرقي في الجاهلة فقلنا: يا رسول الله: كيف ترى في ذلك؟ قال: **(اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)** [١].

وله من حديث جابر رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاءه آل عمرو

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك. برقم (٦٤) (٤/ ١٧٢٧)

بن حزم فقالوا: يا رسول الله: إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب. قال: فعرضوا عليه فقال: **(ما أرى بأساً، من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل)** [١].

وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها، ولو لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك يمنع وما لا يعقل معناه لا يؤمَن أن يؤدي إلى الشرك فيمنع احتياطاً، والشرط الآخر لا بد منه). ا.هـ[٢].

وما لا يُعقل معناه إن لم يؤد إلى الشرك فإنه يفتح باب الشعوذة وتسويغ أعمال السحرة والمبتدعين والخرافيين.

أما من يدَّعون علم الغيب أو يستحضرون الجن أو أشباههم من المشعوذين أو المجهولين الذين لا تعرف حالهم ولا تعرف كيفية علاجهم فلا يجوز إتيانهم، ولا سؤالهم، ولا العلاج عندهم؛ لقول النبي ﷺ: **(من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة)** [٣]. وقوله ﷺ: **(من أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ)** [٤].

وأحاديث أخرى في هذا الباب كلها تدل على تحريم سؤال العرَّافين والكهنة وتصديقهم، وهم الذين يدَّعون علم الغيب أو يستعينون بالجن أو يوجد من أعمالهم وتصرفاتهم ما يدل على ذلك، وفيهم وأشباههم ورد الحديث المشهور الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد جيد، عن جابر ﷺ قال: سُئل

---

(١) صحيح مسلم، السلام، (٢١٩٩)، سنن ابن ماجه، الطب، (٣٥١٥)، ومسند أحمد (٣/ ٣١٥).

(٢) الفتح (١٠/ ١٩٥).

(٣) صحيح مسلم، السلام، ٢٢٣٠، مسند أحمد ٤/ ٦٨.

(٤) سنن الترمذي، الطهارة (١٣٥)، سنن أبو داود، الطب (٣٩٠٤)، سنن ابن ماجه، الطهارة وسننها (٦٣٩)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٤٧٦)، وسنن الدارمي، الطهارة، (١١٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٩٣٩).

النبي ﷺ عن النشرة، فقال: (هي من عمل الشيطان) [١].

وفسَّر العلماء هذه النشرة: بأنها ما كان يُعمل في الجاهلية من حل السحر بمثله، ويلتحق بذلك كل علاج يستعان فيه بالكهنة والعرَّافين وأصحاب الكذب والشعوذة.

ومن الأدعية المشروعة: (بسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شرّ كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك) [٢]، ومنها: (اللهم رب الناس أذهب البأس، واشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً)[٣].

ومنها: أن يضع الإنسان يده على موضع الألم الذي يؤلمه من بدنه فيقول: (بسم الله، أعوذ بعزَّة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر) [٤] سبع مرات. إلى غير ذلك.

أما كتابة الآيات والأذكار وتعليقها على المريض فلا يجوز على الصحيح؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك وقال: (إن الرقى والتمائم والتِّولة شرك) [٥] ويستثنى من ذلك ما أجازه الشرع من الرقى.

أما النفث في الماء، فإن كان المراد به التبرُّك بريق النافث فهو حرام، ويُعدّ من وسائل الشرك؛ لأن ريق الإنسان ليس بركة ولا شفاء، ولا أحد يُتبرَّك بريقه إلا رسول الله ﷺ.

---

(١) سنن أبي داود، الطب (٣٨٦٨)، مسند أحمد (٣/ ٢٩٤).

(٢) صحيح مسلم برقم ٢١٨٦.

(٣) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ برقم (٥٣٥١)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، برقم (٢١٩١) كما أخرجه البخاري من حديث أنس برقم (٥٤١٠).

(٤) صحيح مسلم، السلام، (٢٢٠٢)، سنن الترمذي، الطب، (٢٠٨٠)، سنن أبي داود، الطب (٣٨٩١)، وابن ماجه، الطب، (٣٥٢٢)، مسند أحمد، (٤/ ٢١٧)، موطأ مالك الجامع، (١٧٥٤).

(٥) سنن أبي داود رقم (٣٨٨٣).

وأما النفث بالريق مع تلاوة القرآن الكريم والأدعية، مثل أن يقرأ الفاتحة، والفاتحة رقية وهي أعظم ما يرقى به المريض، فهذا لا بأس به، وقد فعله أصحاب النبي ﷺ في رقية اللديغ فشفاه الله، وأخبروا النبي ﷺ بذلك فأقرهم عليه، وقال: (أصبتم)، وهو مجرَّب ونافع بإذن الله، وقد كان النبي ﷺ ينفث في يديه عند نومه بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فيمسح بهما وجهه وما استطاع من جسده ثلاث مرات.

أما ما جاء في السؤال من أن علاج القلق هو قراءة جزء من القرآن وتفسيره من ابن كثير فلا أصل له، لكن القرآن كله مما يُرقى به وينفع الله به.

وأما تخصيص آيات معينة لرقية بعض الأمراض بلا دليل فلا يجوز، فإن القرآن خير كله وشفاء للمؤمنين، ومن أعظم ما يُرقى به منه الفاتحة كما سبق[١].

ويجب التنبُّه إلى أن القرآن ما نزل ليكون دواء لأمراض الناس البدنية فقط، لكن نزل لأمرٍ عظيم وخطب جليل؛ ليكون نذيراً للعالمين وهادياً إلى صراط الله المستقيم، وحاكماً بينهم فيما يختلفون فيه، ومحذِّراً من طريق الكفر والكافرين، وهو مع هذا ينفع الله تعالى به عباده المؤمنين من أسقامهم الدينية والبدنية، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٤].

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان	عبدالعزيز آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(١) ومن أسماء الفاتحة (الرقية).

(٢) سورة فصلت: (آية ٤٤).

(٣) سورة الإسراء: (آية ٨٢).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ١/ ٧٢.

وقد سئل معالي الشيخ الدكتور/ عبدالكريم بن عبدالله الخضير عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للبحوث والفتوى سابقاً وفقه الله: «هل تُمنع الرقية الشرعية إذا كان المريض لا بد له من التدخل الجراحي، كأن يكون التدخل لاستخراج الحصاة وغيرها من جوف البدن، أو أن تكون الرقية الشرعية للمكسور أو من به فتق فاحتاج إلى خياطة وغيرها مما يحتاج إلى تدخل محسوس؟

فأجاب - حفظه الله -: أن الرقية جاءت بها النصوص، وهي سبب شرعي معتبر له أثره العجيب، لا سيما إذا كان الراقي من أهل الخير والفضل والصلاح والعلم، فلا شك أن لها أثراً كبيراً، ولها أثرها حتى في الأمور المحسوسة، والنص في السؤال يقول: (كأن يكون التدخل لاستخراج الحصاة)، أذكر مسألة واقعة لامرأة كبيرة في السن قُرِّر لها عملية لاستخراج حصاة من المرارة أو من الكلية - نسيت الآن - فطلبت الخروج من المستشفى للاستخارة، فأخذت كأساً من ماء زمزم فقرأت فيه سورة الفاتحة والمعوذتين، فشربته فخرجت الحصاة، ثم رجعت إلى المستشفى وأُجري لها تحليل فقيل لها: الحصاة ليست موجودة، فماذا صَنَعْتِ؟ قالت: قرأت القرآن في ماء زمزم، والقرآن لو أُنزل على جبل لرأيته خاشعاًمتصدعاً من خشية الله، فالجبل يخشع ويتصدَّع بسبب القرآن، فتأثيره في هذه الحصاة الصغيرة أمر لا شك أنه واقع، وقد وقع، فلا ييأس الإنسان، بل الأصل أن الإنسان يرقي نفسه كما كان النبي ﷺ يفعل، «**كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد، وبالمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما**

وجهه، وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به»[١]، وأيضاً لا مانع من فعل الأسباب المحسوسة، فيتضافر هذا وهذا، والكل إن شاءالله فيه خير، فيجمع بينهما، ولا مانع، ومن العامَّة من يرى أنه لا أثر للرقية مع العلاج المحسوس، وهذا الكلام ليس بصحيح، نعم قد يتأخر تأثير الرقية إذا اعتمد اعتماداً كلياً على الطبيب أو على العلاج، وارتبط به ارتباطاً ونسي المسبب، فقد لا يتأثر بالرقية كما هو مجرَّب ومُشاهد، والرقية أيضاً لا شك أنها سبب من الأسباب قد يترتب عليها أثرها لانتفاء المانع، وقد لا يترتب عليها أثرها لوجود المانع»[٢] انتهى الجواب.

وحول هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «إن كثيراً من المرضى، أو أكثر المرضى يُشفون بلا تداوٍ، لاسيما في أهل الوبر والقرى والساكنين في نواحي الأرض، يشفيهم الله بما خلق فيهم من القوى المطبوعة في أبدانهم الرافعة للمرض، وفيما يسَّره لهم من نوع حركة وعمل، أو دعوة مستجابة، أو رقية نافعة، أو قوة للقلب، وحسن التوكل، إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة غير الدواء[٣].

عن أبي مسعود ﵁ عن النبي ﷺ قال: من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاه[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ عن آية الكرسي: جرب المجربون

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب النفث في الرقية، حديث رقم ٥٧٤٨ (٧/ ١٣٣).

(٢) صحيفة الجزيرة، الجمعة ٢٠ ذي الحجة ١٤٢٧هـ، العدد ١٦٠٧٣.

(٣) مجموع الفتاوى (٢١/ ٥٦٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، رقم (٥٠٠٩)، ٦/ ١٨٨.

الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته فإن لها تأثيراً عظيماً في دفع الشيطان عن نفس الإنسان وعن المصروع وعن من تعينه الشياطين مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب، وأرباب سماع المكاء والتَّصدية إذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان ويبطل ما عند إخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرّف شيطاني[١].

ويؤيد هذا الكلام قصة أبي هريرة ﷺ مع الشيطان[٢].

وقال عبدالله بن مسعود ﷺ: (من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعد آيَة الْكُرْسِيّ، وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه في أهله ولا ماله ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق)[٣].

وفي صحيح مسلم عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن**»[٤].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ (عمّن يقرأ القرآن، هل يقرأ سورة الإخلاص مرة أو ثلاثاً؟ وما السنة في ذلك؟

فأجاب: إذا قرأ القرآن كله ينبغي أن يقرأها كما في المصحف مرة

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٥).

(٢) انظر: ص (١٣٢).

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١ / ٧٠).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة (قل هو الله أحد) رقم (٨١١)، ١/ ٥٥٦.

واحدة، هكذا قال العلماء؛ لئلا يزاد على ما في المصحف وأما إذا قرأها وحدها، أو مع بعض القرآن، فإنه إذا قرأها ثلاث مرات، عدلت القرآن. والله أعلم)[١].

وأما الحديث في (الفاتحة) فروى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد ابن المعلّى قال: «كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي. قال: (ألم يقل الله ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال: الحمد الله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم»[٢].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان اشتمال الفاتحة على شفاء الأبدان.

(وأما تضمنها لشفاء الأبدان: فنذكر منه ما جاءت به السنة، وما شهدت به قواعد الطب، ودلت عليه التجربة.

فأما ما دلت عليه السنة: ففي الصحيح من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مروا بماءٍ، فيهم لديغٌ أو سليمٌ، فعرض لهم رجلٌ من أهل الماء، فقال: هل فيكم من راقٍ، إن في الماء رجلًا لديغًا أو سليمًا، فانطلق رجلٌ منهم، فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ[٣]، فبرأ[٤]، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٩/ ١١٩)، الطبعة الثانية ١٤٢٢، الناشر: دار الوفاء بمصر.

(٢) صحيح البخاري في فضائل القرآن (٥٠٠٦).

(٣) شاء جمع شاة، بمعنى قطيع من الغنم وذلك مقابل أجرة الرقية.

(٤) يعني: اللديغ.

الله أجرًا، حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجرًا، فقال رسول الله ﷺ: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله»[(١)].

فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه، فأغنته عن الدواء، وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء.

هذا مع كون المحل غير قابلٍ، إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين، أو أهل بخلٍ ولؤمٍ، فكيف إذا كان المحل قابلًا). [(٢)]

ويقول ﷺ في موضع آخر: (وفي تأثير الرقى بالفاتحة وغيرها في علاج ذوات السموم سرٌّ بديع، فإن ذوات السموم أثرت بكيفيات نفوسها الخبيثة ... وسلاحها حُماتُها التي تلدغ بها، وهي لا تلدَغ حتى تغضب، فإذا غضبت ثار فيها السم فقذفته بآلتها وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل دواء داء، ولكل شيء ضداً، ونفس الراقي تفعل في نفس المرقي، فيقع بين نفسيهما فعل وانفعال، كما يقع بين الداء والدواء فتقوى نفس المرقي وقوته بالرقية على ذلك الداء، فتدفعه[(٣)].

ويقول ﷺ في موضع آخر: (وأما شهادة التجارب بذلك: فهي أكثر من أن تذكر، وذلك في كل زمانٍ، وقد جربت أنا من ذلك في نفسي وفي غيري أمورًا عجيبةً، ولا سيما مدة المقام بمكة – أعزَّها الله تعالى –، فإنه كان يعرض لي آلامٌ مزعجةٌ، بحيث تكاد تقطع الحركة منِّي، وذلك في أثناء الطواف وغيره، فأبادر إلى قراءة الفاتحة، وأمسح بها على محل الألم فكأنه حصاةٌ تسقط، جربت

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، رقم: ٥٧٣٧، ٧/ ١٣١.

(٢) مدارج السالكين (ص: ٣٩)، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ، دار ابن حزم بيروت- لبنان.

(٣) زاد المعاد (٤/ ٢٥٤).

ذلك مرارًا عديدةً، وكنت آخذ قدحًا من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مرارًا، فأشربه فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء، والأمر أعظم من ذلك، ولكن بحسب قوة الإيمان، وصحة اليقين، والله المستعان)[١].

ويقول ﷺ في موضع آخر: (ومن أعظم ما يندفع به شرّ -أيّ شيطان- قراءة المعوذتين وأول سورة الصافات، وآخر سورة الحشر)[٢].

ويقول ﷺ في موضع آخر: (وكان شيخنا[٣] إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعةٍ عظيمةٍ جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها - من محاربة أرواحٍ شيطانيةٍ، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة - قال: فلما اشتد علي الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرءوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عنِّي ذلك الحال، وجلست وما بي قَلْبَةٌ.

وقد جربت[٤] أنا أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه. فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته.

وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٥].

---

(١) مدارج السالكين ص(٤١) الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ دار ابن حزم بيروت - لبنان.

(٢) الوابل الصيب (ص ١١٥).

(٣) يعني بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ.

(٤) الكلام لابن القيم ﷺ.

(٥) سورة البقرة: (آية ٢٤٨).

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[٢].

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[٣].

الْخَامِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٤].

السَّادِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥])[٦].

وقال الحسن البصري رحمه الله: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية[٧].

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٨].

---

(١) سورة التوبة: (آية ٢٦).

(٢) سورة التوبة: (آية ٤٠).

(٣) سورة الفتح: (آية ٤).

(٤) سورة الفتح: (آية ١٨).

(٥) سورة الفتح: (آية ٢٦).

(٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٤٧١).

(٧) تفسير البغوي (٥/ ١٤٣) بتصرف.

(٨) سورة القلم: (آية ٥١، ٥٢).

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: «أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية أن يعصمه الله تعالى من كل سلطان ظالم، ومن كل شيطان مريد، ومن كل سبعٌ ضار، ومن كل لصٍّ عادٍ: آية الكرسي، وثلاث آيات من سورة الأعراف [٥٤ – ٥٧] وعشراً من الصافات، وثلاث آيات من الرحمن [٣٣ – ٣٥]، وخاتمة سورة الحشر [٢١ – ٢٤]» [(١)].

ومن فتاوى (نور على الدرب للشيخ محمد ابن عثيمين ﷺ): ورد سؤال ما نصه: «المستمع الذي رمز لاسمه بـ: ي وس من سوريا درعاء الحائرة يقول في رسالته فضيلة الشيخ هل يجوز التداوي ببعض آيات القرآن الكريم؟ وإن كان كذلك فكيف تتم هذه المداواة؟ وما هي الطريقة؟ وهل التداوي بالقرآن لكافة أنواع الأمراض، أم لمرض معين؟ وإن كان كذلك فما هو؟ أرشدونا بارك الله فيكم؟

فأجاب رحمه الله تعالى: نعم يجوز التداوي بالقرآن العظيم؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [(٢)]. وكان النبي ﷺ يقرأ المعوذتين يتعوذ بهما، وقال: (ما تعوذ متعوِّذ بمثلهما) . فيقرأ على المريض الآيات المناسبة لمرضه، مثل أن يقرأ لتسكين المرض والألم: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [(٣)] . ويقرأ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤/ ١٢٧)، وابن أبي الدنيا في (الذكر) كما في الدر المنثور (٣/ ٤٧١) .

(٢) سورة الإسراء: (آية ١٧).

(٣) سورة الأنعام، (آية: ١٢).

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [(١)]،
أو نحو ذلك من الآيات المناسبة. وكذلك يقرأ الفاتحة، فإن النبي ﷺ ذكر أنها رقية يرقى بها المريض واللديغ، وينتفع بها بإذن الله، لكن يجب أن نعلم أن القرآن نفسه شفاء ودواء، ولكنه بحسب القارىء وبحسب المقروء عليه؛ لأنه لا بد من أهلية الفاعل وقابلية المحل، وإلا لم تتم المسألة: فالفاعل لا بد أن يكون أهلاً للفعل، والمحل لابد أن يكون قابلاً له، فلو أن أحداً من الناس قرأ بالقرآن وهو غافل أو شاك في منفعته فإن المريض لا ينتفع بذلك، وكذلك لو قرأ القرآن على المريض والمريض شاك في منفعته فإنه لا ينتفع به، فلا بد من الإيمان من القارىء والمقروء عليه بأن ذلك نافع، فإذا فعل هذا مع الإيمان من كلٍ من القارىء والمقروء عليه انتفع به»[(٢)].

والذي يظهر لي – والله أعلم – بعد سياق الأثر[(٣)] الوارد عن السلف رحمهم الله في قراءة بعض السور والآيات التي جاءت في الرقية النافعة بإذن الله، –والقرآن كله شفاء–، سواء أكان القائم عليها الراقي المعالج أو غيره كالمستفيد مع النفث[(٤)]، أُجملها كالآتي:

---

(١) سورة النمل، (آية: ٦٢).

(٢) ينظر: فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٤ / ٢).

(٣) ينظر: (ص: ٩، ١٥، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٨٢، ١٢٨، ١٥٣).

(٤) قال ابن القيم رحمه الله: «وفي النفث سر آخر، فإنه مما تستعين به الأرواح الطيبة والخبيثة. ولهذا تفعله السحرة كما يفعله أهل الإيمان. قال تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) (الفلق:٤). وذلك لأن النفس تتكيف بكيفية الغضب والمحاربة، وترسل أنفاسها سهاما لها، وتمدها بالنفث والتفل الذي

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ سورة الفاتحة سبع مرات.

﴿ الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. سورة البقرة

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى

معه شيء من ريق مصاحب لكيفية مؤثرة. والسواحر تستعين بالنفث استعانة بينة، وإن لم تتصل بجسم المسحور. بل تنفث على العقدة وتعقدها، وتتكلم بالسحر، فيعمل ذلك في المسحور بتوسط الأرواح السفلية الخبيثة. فتقابلها الروح الزكية الطيبة بكيفية الدفع والتكلم بالرقية وتستعين بالنفث؛ فأيهما قوي كان الحكم له. ومقابلة الأرواح بعضها لبعض وتحاربها وآلتها من جنس مقابلة الأجسام ومحاربتها وآلتها سواء. بل الأصل في المحاربة والتقابل للأرواح والأجسام آلتها وجندها، ولكن من غلب عليه الحس لا يشعر بتأثيرات الأرواح وأفعالها وانفعالاتها، لاستيلاء سلطان الحس عليه، وبعده من عالم الأرواح وأحكامها وأفعالها. والمقصود: أن الروح إذا كانت قوية، وتكيفت بمعاني الحس عليه، وبعده من عالم الأرواح وأحكامها وأفعالها. والمقصود: أن الروح إذا كانت قوية، وتكيفت بمعاني الفاتحة، واستعانت بالنفث والتفل قابلت ذلك الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة، فأزالته. والله أعلم» زاد المعاد (ص ٢٥٥ – ٢٥٦).

ٱلظُّلُمَٰتِ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾. سورة البقرة

﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. سورة البقرة

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾سورة الأعراف

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾. سورة الأعراف

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾. سورة التوبة

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾. سورة يونس

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾. سورة الإسراء

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾. سورة طه

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾. سورة المؤمنون

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾. سورة النمل

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾. سورة الصافات

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾. سورة الرحمن

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ

وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَّ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِّ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾. سورة الحشر.

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾. سورة القلم.

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ الزلزلة.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾. الكافرون

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ الإخلاص ثلاث مرات.

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ الفلق ثلاث مرات.

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ الناس ثلاث مرات.

وقفة حول أثر الرقية الشرعية

إن من أروع الأمثلة لمعرفة مدى أثر الرقية على المريض، هي المقولة الشهيرة لابن القيم رحمه الله: **(الرقية براقيها وقبول المحل، كما أن السيف بضاربه مع قبول المحلّ للقطع)** [١].

فلابد أن ندرك هذه المقولة جيداً حتى نستطيع التمييز ما بين تباين قوة تأثير الرقية وما بين ضعفها على المرضى المصابين بالأمراض النفسية والعضوية، وبين المرضى المصابين بتلبس الجن أو السحر أو العين.

قوله رحمه الله: (الرقية براقيها): يتبين لنا من خلال هذه العبارة أن تأثير الرقية يتفاوت من راقٍ إلى آخر في شفاء بعض المرضى بإذن الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكان بعض الشيوخ يرقي بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وكان لها بركة عظيمة فيرقي بها غيره فلا يحصل ذلك فيقول: ليس ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ من كل أحد تنفع كل أحد) [٢].

وقال الأعمش رحمه الله: (حدّثنا رجل كان يكلّم الجن قالوا ليس علينا أشد ممن يتبع السنة وأما أصحاب الأهواء فإنا نلعب بهم لعبا) [٣].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (لو وضع الصدق على جرح

---

(١) مدارج السالكين (ص: ٤١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧ / ١٣٩).

(٣) تلبيس ابليس لابن الجوزي رحمه الله (ص ٣٧).

لبرئ)[١].

وليس المراد بمقولة ابن القيم ﷺ كما يتصوّره بعض العامّة من الناس حينما حملوا هذه المقولة على غير محملها كما يعتقد بعضهم بأن تأثير الرقية ونفعها يتفاوت من راقٍ إلى آخر على قدر تفاوت قوة البدن ورفع الصوت وشخص البصر وقوة النفث[٢].

كما قال معالي رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضيلة الدكتور/ عبدالرحمن السند في ابتداع طرق في الرقية منها: ث - ترديد لفظة معينة من آية أكثر من مرة، أو رفع الصوت إلى درجة الصراخ لبعض الكلمات القرآنية[٣].

قال النووي ﷺ: (والنفث نفخ لطيف بلا ريق) [٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين ﷺ : «النفث: نفخ مع ريق خفيف»[٥].

وقد اشتكى لي أحد المراجعين من طنين في إحدى أذنيه استمر ما يقارب خمسة أيام نتيجة الرقية من أحد الرقاة بصوت مرتفع في إحدى أذنيه، علماً بأن المريض ينتفع بالرقية بمجرد سماعها[٦] بإذن الله قال تعالى على لسان

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٢/ ٢.

(٢) انظر: كلام شيخ الإسلام ﷺ عن القراءة بصدق (ص ١٨).

(٣) أحكام الرقية الشرعية (ص ٨٣).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٨٢).

(٥) فتاوى نور على الدرب شريط ٢١٤.

(٦) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (١٩٨و ٢٨٧).

الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[١].

وقد تداول بعض الناس مقطعاً صوتياً لرقية سماحة الشيخ: عبدالعزيز بن باز ﷺ على أحد المرضى بسورة الفاتحة بصوت منخفض مع النفث.

وقد يستدعي المقام مدّ الصوت بحيث يكون مسموعاً دون أن يحدث ضرراً في أذن المريض المصاب بصرع الجن كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ[٢].

وأما قوله ﷺ: (وقبول المحل): فعلى ضربين:

أحدهما: أن يكون المرض عضوياً، ويكون المرقي عليه على يقين بنفع القرآن وإن لم يكن مسلماً كما حصل في قصة اللّديغ[٣].

كما قال العلامة ابن القيم ﷺ: (فإن مبنى الشفاء والبرء على دفع الضد بضده، وحفظ الشيء بمثله، فالصحة تُحفظ بالمثل، والمرض يُدفع بالضد، أسبابٌ رَبَطها بمسبباتها الحكيم العليم خلقاً وأمراً، ولا يتم هذا إلاّ بقوة من النفس الفاعلة، وقبول من الطبيعة المنفعلة، فلو لم تنفعل نفس الملدوغ لقبول الرقية، ولم تقوَ نفس[٤] الراقي على التأثير لم يحصل البرء.

فهنا أمور ثلاثة: موافقة الدواء للداء، وبذل الطبيب له، وقبول طبيعة

---

(١) سورة الجن: (آية ١٣).

(٢) انظر ص: ٨٣.

(٣) سبق ذكرها: ص ١٩.

(٤) ويقول ﷺ في موضع آخر: (الروح إذا كانت قويّة وتكيفت بمعاني الفاتحة واستعانت بالنفث والتفل، قابلت ذلك بالأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة فأزالته والله أعلم) (زاد المعاد الجزء الرابع ص ١٦٥).

العليل[١]. فمتى تخلّف واحد منها لم يحصل الشفاء، وإذا اجتمعت حصل الشفاء ولابد بإذن الله سبحانه وتعالى) [٢].

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ﷺ: يجب أن نعلم أن القرآن نفسه شفاء ودواء ولكنه بحسب القارئ وبحسب المقروء عليه لأنه لا بد من أهلية الفاعل وقابلية المحل، وإلا لم تتم المسألة، فالفاعل لا بد أن يكون أهلاً للفعل، والمحل لا بد أن يكون قابلاً له، فلو أن أحداً من الناس قرأ بالقرآن وهو غافل أو شاك في منفعته فإن المريض لا ينتفع بذلك، وكذلك لو قرأ القرآن على المريض والمريض شاك في منفعته فإنه لا ينتفع به، فلا بد من الإيمان من القارئ والمقروء عليه بأن ذلك نافع، فإذا فعل هذا مع الإيمان من كل من القارئ والمقروء عليه انتفع به[٣].

أما الآخر: أن يكون السبب الرئيس لمعاناة المريض المرقي عليه هو نتيجة الإصابة بالعين أو السحر أو تلبس الجن مهما اختلفت الأعراض سواءً ظهرت بصورة مرض عضوي أو نفسي .

قوله ﷺ: (كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع) شبّه تفاوت تأثير الرقية على المريض من راقٍ إلى آخر كتفاوت تأثير ضربة السيف من رجل إلى آخر حال القتال.

فكلّما تفوّق أحدهما على الآخر بالشجاعة، كان لِضرب سيفه وقْعٌ على هام[٤] الرجال، وأثخن في العدو الجراح مالم يحل بين ضربة سيفه وبين محل

---

(١) انظر: (ص ٥٧)

(٢) مدارج السالكين: (ص ٤١).

(٣) فضائل القرآن الكريم، ص ٣٩٥.

(٤) جمع لكلمة هامة: هي أعلى الرأس.

قطع الأعناق أو البنان[١] حائل.

بغض النظر عن قوة البدن، كما قال ابن القيم رحمه الله: (إنه لا تلازم بين قوة البدن وقوة النفس ولا بين ضعفه وضعفها، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف النفس جباناً خوَّاراً، وقد يكون ضعيف البدن قوي النفس، فيكون شجاعاً مقداماً على ضعف بدنه) [٢].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال، يُقاتل الشجاع عمَّن لا يعرف، ويفرُّ الجبان من أمِّه[٣].

فإذا وافقت ضربة السيف بسيف آخر أو درع ونحوه ضَعُف التأثير[٤]، كذلك ضعف تأثير الرقية على المرضى المصابين ببعض الأمراض المستعصية سواء أكانت عضوية أو نفسية.

فمتى ما أدركنا معنى هذه المقولة جيداً حينها ندرك قوة تأثير الرقية في شفاء بعض الأمراض وضعف تأثيرها على البعض الآخر.

كما أن علينا أن نوقن بأن الله عز وجل غالب على أمره ونؤمن بأن الله سبحانه هو الذي قدّر هذه الأمراض، وهو سبحانه قادر على دفعها ورفعها.

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٥].

قال البغوي في تفسيره قوله عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (يعني :

---

(١) الأطراف وكل مفصل.

(٢) كتاب الروح (ص: ٢٥٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٢).

(٤) انظر: كلام ابن القيم رحمه الله (ص ٧٩).

(٥) سورة الحديد: (آية ٢٢)

قَحط المطر وقِلّة النبات ونَقص الثمار، ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ يعني : الأمـراض وفَقْد الأولاد، ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾، يعني: اللوح المحفـوظ، ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾، مِن قَبل أن نَخْلُق الأرض والأنفس.

قال ابن عباس: مِن قَبـل أن نَـبْرَأ المُـصِيبة. وقـال أبـو العاليـة: يعنـي النَّسَمَة.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾، أي: إثبـات ذلك على كثرتـه هيِّن على الله ﷻ[1].

وكذلك التسليم بما جاء في محكم التنزيل والرضى بما قسم الله للعبد كما جاء عن أبي بكر ﷺ يوم أن مرض فقالوا ألا ندعوا الطبيب؟ فقال: قد رآني فقال إني فعّال لما أريد[2].

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾[3].

قال ابن مفلح -رحمه الله تعالى-: «لولا المصائب لبطر العبد، وبغى وطغى، فيحميه بها من ذلك ويطهِّر مما فيه، فسبحان من يرحم ببلائـه ويبتلي بنعمائه»[4].

وعن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ الله ﷺ: « لا يـزال الـبلاء بـالمؤمن أو المؤمنة، في جسده وأهله، وفي مالـه، وفي ولـده، حتـى يلقـى الله ومـا عليـه مـن

(١) تفسير البغوي: (ص ١٢٧٩)، دار ابن حزم، الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ، بيروت.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٤٨/ ٢.

(٣) سورة العلق: (آية ٦)

(٤) الآداب الشرعية، ابن مفلح (٢/ ١٩١).

خطيئةٍ»[١].

وفي هذا النص النبوي الكريم بشرى عاجلة وآجلة لكل مؤمن ومؤمنة مبتلى، وفيه حثٌّ على الصبر والاحتساب مع فعل الأسباب المشروعة.

قال ابن القيم رحمه الله: «ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو أنقصت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر وعلوِّ المنزلة. ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه»[٢].

وما أجمل ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وكم لله من لُطفِ خفيٍّ ... يدقُّ خفاهُ عن فَهْمِ الذَّكِّي
وكم يُسرٍ أتى مِن بعدِ عُسرٍ ... ففرَّج كُربةَ القلبِ الشجيّ
وكم أمرٍ تُساءُ به صباحاً ... وتأتيك المسرَّةُ بالعَشِيّ
إذا ضاقَت بك الأحوالُ يوماً ... فَثِق بالواحدِ الفردِ العليّ
ولا تجزَع إذا ما نَابَ خَطْبٌ ... فكم لله مِن لُطفٍ خَفيّ[٣]

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: كفارة المريض، رقم (٤٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص ١٨٥).
(٢) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (٢/ ٩٣٥).
(٣) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ص (١٦٠).

وقفة حول عداوة الجن للراقي المعالج

قال شيخ الإسلام ﷺ: إذا كان الراقى الداعى المعالج لم يتعدَّ عليهم[١] كما يتعدَّى عليهم كثير من أهل العزائم، فيأمرون بقتل من لايجوز قتله، وقد يحبسون من لا يحتاج إلى حبسه، ولهذا قد تقاتلهم الجن على ذلك، ففيهم من تقتله الجن أو تمرضه، وفيهم من يفعل ذلك بأهله وأولاده أو دوابه .

وأما من سلك في دفع عداوتهم مسلك العدل الذى أمر الله به ورسوله فإنه لم يظلمهم، بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم وإغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعى التي ليس فيها شرك بالخالق ولا ظلم للمخلوق، ومثل هذا لا تؤذيه الجن، إما لمعرفتهم بأنه عادل، وإما لعجزهم عنه . وإن كان الجن من العفاريت وهو ضعيف فقد تؤذيه، فينبغي لمثل هذا أن يحترز لقراءة العِوَذ، مثل آية الكرسي والمعوذات[٢]، والصلاة، والدعاء، ونحو ذلك مما يقوى الإيمان ويجنب الذنوب التي بها يسلطون عليه، فإنه مجاهد في سبيل الله، وهذا من أعظم الجهاد، فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه، وإن كان الأمر فوق قدرته فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فلا يتعرَّض من البلاء لما لا يطيق. ومن أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسى[٣][٤].

---

(١) يعني بذلك رحمه الله: الجن.

(٢) وهي سور الإخلاص والفلق والناس.

(٣) انظر: (ص ١٣٢).

(٤) مجموع الفتاوى، (ص ١٩/ ٥٣).

وقفة حول الحكم الشرعي للجلوس في المقرأة[١].

هذه فتوى من اللجنة الدائمة برقم (٢٠٥١٥) إجابة عن السؤال التالي[٢]:

س: سمعنا ممن ينسب إلى العلم أن وضع وقت محدد ومكان محدد للقراءة بدعة لا تجوز، فما صحة هذا القول؟ حيث إن كثيراً ممن يقوم برقية الناس يضع مكاناً غير بيته، يقرأ فيه على الناس في ساعة محددة، حتى لا يتأذى في منزله من أولئك الذين لا يقدّرون أوقات الآخرين.

ج: لا حرج على الراقي أن يجعل وقتاً معيناً أو مكاناً معيناً يقرأ فيه على الناس، وهذا فيه مصلحة ظاهرة له ولغيره.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان	عبدالعزيز آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(١) والمقرأة هي عبارة عن مكان مهيأ لقراءة القرآن في المساجد أو دور تعليم القرآن والمراد بها هنا تخصيص مكان للرقية ويقوم عليها أحد الرقاة.

(٢) المجموعة الثانية، المجلد الأول، ط١، ص ٩٤.

وقفة حول العزائم أو كتابة الآيات

سُئل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ﷺ: هل يجوز أن يُكتب للمريض بعض آيات قرآنية في إناء يغسله ثم يشربه؟

فأجاب: لا يظهر في جواز ذلك بأس، وقد ذكر ابن القيم ﷺ أن جماعة من السلف رأوا أن يُكتب للمريض الآيات من القرآن ثم يشربها، قال مجاهد: لا بأس أن يُكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض، ومثله عن أبي قلابة، ويُذكر عن ابن عباس أنه أمر أن يُكتب لامرأة تعسرت عليها ولادتها أثر من القرآن ثم يُغسل وتُسقى، وبالله التوفيق[(١)].

وقد ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الشيخ عبدالرزاق عفيفي ﷺ.

س٢: إذا طلب رجل به ألم رقى، وكتب له بعض آيات قرآنية، وقال الراقي: ضعها في ماء واشربها فهل يجوز أم لا؟

ج٢: سبق أن صدر من دار الإفتاء جواب عن سؤال مماثل لهذا السؤال هذا نصه: كتابة شيء من القرآن في جام أو ورقة وغسله وشربه يجوز؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)] فالقرآن شفاء للقلوب والأبدان، ولما رواه الحاكم في [المستدرك] وابن ماجه في [السنن] عن ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**عليكم بالشفاءين العسل والقرآن**» وما رواه ابن ماجه، عن علي ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «خير الدواء القرآن» وروى ابن السني عن ابن عباس رضي الله عنهما: (إذا عسر

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ٩٤).

(٢) سورة الإسراء (الآية: ٨٢).

على المرأة ولادتها خذ إناء نظيفا فاكتب عليه) ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾[١]، و﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾[٢]، و ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٣]، ثم يغسله وتسقى المرأة منه وتنضح على بطنها وفي وجهها).

وقال ابن القيم في [زاد المعاد] (جـ٣ ص٣٨١): (قال الخلال: حدثني عبد الله بن أحمد قال: رأيت أبي يكتب للمرأة إذا عسر عليها ولادتها في جام أبيض أو شيء نظيف يكتب حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم)، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾[٤]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[٥] قال الخلال: (أنبأنا أبو بكر المروذي، أن أبا عبد الله[٦] جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، تكتب لامرأة عسرت عليها ولادتها منذ يومين، فقال: قل له: يجيء بجام واسع وزعفران، ورأيته يكتب لغير واحد)، وقال ابن القيم أيضا: (ورأى جماعة من السلف أن يكتب له الآيات من القرآن ثم يشربها، قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض، ومثله عن أبي قلابة). انتهى كلام ابن القيم.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم[٧].

---

(١) سورة الأحقاف، (الآية: ٣٥).

(٢) سورة النازعات، (الآية: ٤٦).

(٣) سورة يوسف، (الآية: ١١١).

(٤) سورة الأحقاف، (الآية: ٣٥).

(٥) سورة النازعات، (الآية: ٤٦).

(٦) يعني بذلك الإمام أحمد رحمه الله.

(٧) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٢٤١).

وقال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: أما كون القرآن يُكتب في إناء ويُصب عليه الماء ثم يُروَّج ويشربه الإنسان فهذا فعله السلف رحمهم الله، يكتبون في إناء للزعفران آية الكرسي، المعوذات، وشيء من القرآن ثم يُصب عليه الماء ويروَّج هكذا باليد، أو بتحريك الإناء، ثم يشربه الإنسان، فهذا فعله السلف، وهو مجرَّب عند الناس، ونافع بإذن الله، والله أعلم[١].

وقال ﷺ في موضع آخر: «القرآن شفاء حتى للأمراض الحسيَّة كما في هذا المثال، وكما جُرِّب أن يكتب على الحزا - قروح وبثرات تظهر في القدم أو في اليد، أو في الذراع- يكتب عليها ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾[٢]، إذا كُتبت هذه الآية عليها مرة أو مرتين زالت بإذن الله نهائياً»[٣].

وقال ابن القيم ﷺ عن كتاب للحزاز[٤]: يكتب عليها: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾[٥] بحول الله وقوته.

كتاب لوجع الضرس: يكتب على الخدِّ الذي يلي الوجع: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٦].

كتاب للخرَّاج: يكتب عليه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾

---

(١) اللقاء الشهري (٣/ ٤٨٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٦.

(٣) اللقاء الشهري (ص ٣٢).

(٤) الحزاز: القشرة التي في الرأس كالنخالة.

(٥) سورة البقرة (٢٦٦).

(٦) سورة الأنعام (١٣).

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾[١][٢].

«كتاب للرُّعاف: كان شيخنا يكتب على جبهة من يكثر رعافه، ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾[٣]، وسمعته يقول: كتبتها لغير واحد فبرأ»[٤].

وقد عملت بهذا الأثر لامرأة حينما اشتكت من نزيف على أثر لحميَّة في الرحم وقد قررت لها الطبيبة إجراء عملية جراحية لاستئصاله، فوضعتُ شيئاً من الزعفران في كوب ماء وكتبت من ماء الزعفران على ورقة هذه الآية التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وأوصيتها بعد ذلك بغمسها في كوب ماء مع الشرب، وأوصيتها كذلك بالقيام بنفسها على هذا الأثر قدر الحاجة، وبعد فترة يسيرة راجعت الطبيبة وأجرت لها أشعة وتبين لها بأن وضعها طبيعي وذهب عنها ما تجد، ولله الحمد والمنَّة.

وعليه، فالذي يظهر لي – والله أعلم – بأن عمل هذا الأثر لا يتوقف نفعه على عمل الراقي فحسب، بل يستطيع كل مستفيد أن يعمل بهذا الأثر أو غيره، ولكن بحسب العلَّة، كما ذكر السلف رحمهم الله.

والعمل بهذا الأثر لا يعني ترك الأسباب الطبيَّة، فربما يتضافر هذا وهذا كما قال الشيخ عبدالكريم الخضير[٥].

---

(١) سورة طه (١٠٥ – ١٠٧).

(٢) زاد المعاد (٤/ ٥٢٩ – ٥٣١)، باختلاف الطبعات.

(٣) سورة هود، (آية: ٤٤).

(٤) زاد المعاد (٤/ ٣٢٨) باختلاف الطبعات (٤/ ٥١).

(٥) (ص ١٦).

وقفة حول أثـــر الدعـــاء والأذكـار

إن شأن الدعـاء شـأنٌ عظيم، وهو أعظم سـلاح للمـؤمن بتوفيـق الله، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[١].

فهنيئاً لمن وفقه الله إلى كثرة الدعاء فقد أثنى الله – ﷻ – عـلى إبـراهيم عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[٢].

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في (الأواه) وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: القول الذي قاله عبد الله بن مـسعود رواه عنـه زرٌ: إنـه الدعَّاء[٣].

عن أنس ﷺ قال: «دخل النبي ﷺ المسجد ورجلٌ قد صلى وهو يـدعو ويقول في دعائه: اللهم لا إله إلا أنت المنَّان، بـديع الـسموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، فقـال النبـي ﷺ: أتـدرون بـمَ دعـا الله؟ دعـا الله باسـمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»[٤].

قال سعيد بن جبير ﷺ: إني لأعرف آية ما قرأها أحـد قـط فـسأل الله شيئاً إلا أعطـاه إيـاه قولـه تعـالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ

---

(١) سورة الفرقان: (آية ٧٧).

(٢) سورة التوبة: (آية ١١٤).

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر: (١٤ / ٥٢٣).

(٤) أخرجه الترمذي، رقم ٣٥٤٤، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [١] [٢].

وقال ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [٣] جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في المتعلق له، والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته وهو فقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه»[٤].

كما أن الدعاء قرين السعادة كما وصف الله عز وجل دعاء زكريا عليه السلام ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [٥]. أي: ولم أعهد فيك إلا الإجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك[٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص ليس قربا عاما من كل أحد، فهو قريب من داعيه وقريب من

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٤٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٦٥).

(٣) سورة الأنبياء: (آية ٨٣).

(٤) الفوائد (ص ٢٠١).

(٥) سورة مريم: (آية ٤).

(٦) تفسير ابن كثير: (ص ٢١٢).

(٧) سورة البقرة: (آية ١٨٦).

عابديه وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[١].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[٢].

قال ابن عقيل ﷺ: «ومن اشتدّت فاقته فدعا، أو اشتدّ خوفه فبكى، فذلك الوقت الذي ينبغي أن يدعو فيه فإنه ساعة إجابة وساعة صدق في الطلب وما دعا صادق إلا أجيب»[٣].

وقال ابن رجب ﷺ: «المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة رجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أتيت من قبلك؟ ولو كان فيك خير لأجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات»[٤].

و في مستدرك الحاكم من حديث سعد عن النبي ﷺ: «ألا أخبركم بشئ إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا، دعاء به ففرَّج الله عنه، فقيل له: بلى، فقال: دعاء ذى النون[٥] ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»[٦].

ومن أوقات إجابة الدعاء كما أخبرنا النبي ﷺ:

عند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وفي السُّجود، وفي أدبار الصلوات

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٧).

(٢) سورة النمل: (آية ٦٢).

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي (٢/ ٢٨٢).

(٤) تفسير بن رجب (٢/ ٥٩٥).

(٥) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٦٠٥.

(٦) سورة الأنبياء: (آية ٨٧).

المكتوبات، وساعة في جوف الليل الآخر، ودعوة الصائم حين يُفطر، ودعوة المسافر، وآخر ساعة من عصر يوم الجمعة، وعند شرب ماء زمزم، ودعوة المظلوم، ودعوة الوالد لولده، ودعوة المضطر، ودعوة الولد الصالح لوالديه بعد الممات ويوم عرفة وعند نزول الغيث.

فعن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة للإثم، ومطردة للداء عن الجسد**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير من خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء**»(٢).

وعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا كان جُنْح الليل – أو أمسيتم – فكفُّوا صبيانكم، فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً**»(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن**

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٥٤٩)، وحسنه الألباني ﷺ في إرواء الغليل وقال: الحديث حسن دون الزيادة، ومطردة للداء عن الجسد (٢/ ٢٠٢).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٤٣٢)، وحسنه الألباني كما في صحيح الترغيب (٣٣٩٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٦٢٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٠١٢) واللفظ له.

الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «**اللهم أني إسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يديَّ ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن وعماد الدين، وله مع البلاء ثلاثة مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه. والثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً. والثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه[٣].

وكان النبي ﷺ يتعوذ من سيء الأسقام، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ من البرص والجنون والجذام، ومن سيء الأسقام**»[٤].

---

(١) صحيح مسلم برقم: (٧٨٠) (١/ ٥٣٩).

(٢) رواه أبو داود برقم (٥٠٧٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٥٧) برقم (٤٢٣٩).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ٩ – ١٠)، لابن القيم رحمه الله.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٣٠٠٤) (٢٠/ ٣٠٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة»[(١)].

وعندما اطلعت على بعض كتب الطب النفسي وتأملت أعراض الاكتئاب وجدتها تنحصر في هذه الاستعاذة النبوية، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجلٍ من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: «يا أبا أمامة مالي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة؟» فقال: همومٌ لزمتني، وديونٌ يا رسول الله، فقال: «ألا أعلمك كلامًا إذا أنت قلته أذهب الله ﷻ همك وقضى دينك؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله ﷻ همي، وقضى عني ديني [(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: (فالهم والحزن قرينان، وهما من آلام الروح ومعذِّباتها، والفرق بينهما: أن الهم توقع الشر في المستقبل، والحزن: هو التألم على حصول المكروه في الماضي، أو فوات المحبوب، وكلاهما تألم وعذاب يرد على الروح، فإن تعلَّق بالماضي سمِّي حزنا، وإن تعلَّق بالمستقبل سمِّي همًّا.

والعجز والكسل قرينان، وهما من أسباب الألم؛ لأنهما يستلزمان فوات

(١) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٣٨٥١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣١٠٦).
(٢) سنن أبي داود: (٢ / ٩٣) برقم (١٥٥٥)، والبيهقي في سننه برقم (١٧٩)، أما لفظ الدعاء فقد أخرجه البخاري (٦٠٠٢)، ضمن حديث طويل.

المحبوب، فالعجز يستلزم عدم القدرة، والكسل يستلزم عدم إرادته.

فتتألم الروح لفواته بحسب تعلُّقها به، والتذاذها بإدراكه لو حصل.

والجبن والبخل[١] قرينان، لأنهما عدم النفع بالمال والبدن.

وهما من أسباب الألم؛ لأن الجبان تفوته محبوبات ومفرحات وملذوذات عظيمة، لا تنال إلا بالبذل والشجاعة، والبخل يحول بينه وبينها، فهذان الخُلُقَان من أعظم أسباب الآلام.

وضلع الدين، وقهر الرجال: قرينان، وهما مؤلمان للنفس معذبان لها.

أحدهما: قهر بحق، وهو ضلع الدين، **والثاني**: قهر بباطل، وهو غلبة الرجال.

وأيضا: فضلع الدين، قهر بسبب من العبد في الغالب، وغلبة الرجال قهر بغير اختياره.

ومن ذلك تعوذه ﷺ: «من المأثم والمغرم» فإنهما يسببان الألم العاجل)[٢].

فهذا الدعاء يرفع هذه الآلام عن النفس ويدفعها بإذن الله.

والهمُّ سوء ظن بالله سبحانه وتعالى الذي بيده كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾[٣].

وسوء الظن بالله من ميراث الجاهلية الأولى.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذان داءان عظيمان، الجبن والبخل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (شر ما في المرء شحٌّ هالع وجُبن خالع» رواه أبو داود برقم (٢٥١١)، مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٣٧).

(٢) التفسير القيم، لابن القيم: (ص ٥٢٥).

(٣) سورة الفتح (آية ١٢).

قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[١].

سُئل الشافعي رحمه الله تعالى: كيف يكون سوء الظنّ بالله؟ قال: «الوسوسة، والخوف الدائم من وقوع مصيبة، وترقب زوال النعمة، كلها من سوء الظن بالرحمن الرحيم»[٢].

وقال مالك بن دينار: «بقدر ما تحزن للدنيا فكذلك يخرج همّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج همّ الدنيا من قلبك»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: فإن من عرف الله أحبَّه ولا بدَّ، ومن أحبَّه انقشعت عنه سحائب الظلمات، وانكشفت عن قلبه الهموم والغموم والأحزان، وعمر قلبه بالسرور والأفراح، وأقبلت إليه وفود التهاني والبشائر من كلِّ جانب، فإنه لا حزن مع الله أبداً.

ولهذا قال تعالى حكاية عن نبيه ﷺ أنه قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[٤]، فدلَّ على أنه لا حزن مع الله، وأن من كان الله معه فما له وللحزن؟ وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله، فبأي شيء يفرح؟، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[٥][٦].

---

(١) سورة آل عمران (آية ١٥٤).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ١٢٣).

(٣) الزهد، لابن أبي الدنيا (ص ٧٤).

(٤) سورة التوبة (الآية: ٤٠).

(٥) سورة يونس (الآية: ٥٨).

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢/ ٦١٠).

وقال الحسن البصري رحمه الله: «لا تحملنَّ على يومك همَّ غدك، فحسب كل يوم همُّه»[١].

وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله: «المرض سجن البدن، والهمّ سجن الروح»[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: «إنما تحصل الهموم والغموم والأحزان من جهتين: إحداها الرغبة في الدنيا والحرص عليها، والثاني: التقصير في أعمال البر والطاعة»[٣].

ومما قيل في الهمِّ، قول أبو الطيب المتنبي[٤].

والهمُّ يخترم الجسيم نحافة ... ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقال آخر[٥]:

يا صاحب الهمّ إن الهمَّ منفرجٌ ... أبشر بخير فإن الفارِج الله

اليأس يَقْطَع أحيانا بصاحِبِه ... لا تيأَسَنّ فإن الكافي الله

الله يحدث بعد العُسْر مَيسرة ... لا تجزعنّ فإن الصَّانِع الله

وإذا بُلِيتَ فَثِقْ بالله وارضَ به ... إن الذي يَكْشِف البلوى هو الله

والله ما لَك غير الله مِن أحَدٍ ... فَحَسْبُك الله .. في كلٍّ لكَ الله

---

(١) أدب الدنيا والدين، (ص ٢٨٩).

(٢) الوافي بالوفيات ١٧/ ٢٤١.

(٣) عدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص ٣٩٤).

(٤) الأمثال السائرة من شعر المتنبي (١/ ٣٣).

(٥) لم أقف على قائل هذه الأبيات في مظانها، وهي مشهورة على ألسُن بعض الوعَّاظ والخطباء.

وقفة حول الرؤى والأحلام

كثُر المعبِّرون في الآونة الأخيرة وذلك عبر أجهزة التواصل الاجتماعي ونحوها، وجزمهم بأن من رأى كذا وكذا في المنام فهو مصاب بالسحر، أو بتلبس الجن، أو بالعين فقد يتعلَّق الرائي المسكين بما وصفوا، فيعتريه الحزن الشديد والقلق[1] إلى أن يتمكن منه الوهم، فحينئذ يطلب الرقية وفي أثناء القراءة عليه لا يظهر شيء والله أعلم مما ذكر هؤلاء المتصدرون لتأويل الرؤى، والله المستعان.

ولو سلَّمنا بصحة تأويل ما وصف هؤلاء المرجفون لما سلم منَّا أحد ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكيف يخطئ ويصيب في التأويل صدِّيق الأمة ﷺ، وهو أعلم وأفضل معبِّر بعد الأنبياء وهؤلاء لا يخطئون؟!.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، كان يحدث: «أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلةً تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سببٌ واصلٌ من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجلٌ آخر فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخر فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخر فانقطع ثم وصل. فقال أبو بكرٍ: يا رسول الله، بأبي أنت، والله لتدعني فأعبِّرها، فقال النبي ﷺ: «اعبرها» قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن، حلاوته تنطف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به رجلٌ من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخر فيعلو به، ثم يأخذه رجلٌ آخر فينقطع به، ثم يوصل

---

(١) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٨٦).

له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله، بأبي أنت، أصبت أم أخطأت؟ قال النبي ﷺ: «أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا» قال: فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت، قال: «لا تقسم»(١).

ومما لا شك فيه أن الرؤى لها شأن، والأصل فيها البشارة كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾(٢).

قال السعدي رحمه الله في تفسيره: «أما البشارة في الدنيا فهي الثناء الحسن، ومودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق، وأما في الآخرة فأولها البشارة عند قبض أرواحهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(٣)»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا، ورؤيا المسلم جزءًا من خمسة وأربعين جزء من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فرؤيا صالحة من الله، ورؤيا تُحزن من الشيطان، ورؤيا يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فيصلِّ، ولا يحدث بها الناس»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب: من لم ير الرؤية لأول عابر إذا لم يصب برقم (٧٠٤٦) (٩/ ٤٣).

(٢) سورة يونس الآية: ٦٤.

(٣) سورة فصلت الآية: ٢٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص (٣٦٨).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٦٣)، (٤/ ١٧٧٣).

وهي من المبشرات للمؤمن كما جاء ذلك في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**تسمُّوا باسمي ولا تكنُّوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثَّل في صورتي، ومَن كذب عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار**»(٢).

وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره**»(٣).

كما ينبغي للمؤمن ألا يلتفت إلى الأحلام المزعجة فإنها من الشيطان كما جاء من حديث قتادة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**الرؤيا الصالحة - وفي رواية - الرؤيا الحسنة - من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً، وليتعوَّذ من الشيطان فإنها لا تضره**»(٤).

قال الشيخ محمد بن عثيمين ﷺ معلقاً على الحديث: «وبعض الناس إذا رأى شيئاً يكرهه ذهب يتلمس مَن يفسر له هذه الرؤيا، ونحن نقول له: لا تفعل ذلك، وكان الصحابة ﷺ يرون الرؤيا يكرهونها، فلما حدثهم النبي ﷺ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة رقم (٤٧٩)، (١/ ٣٤٨).

(٢) صحيح البخاري، العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ رقم (١١٠)، (١/ ٣٣).

(٣) صحيح البخاري، رقم (٦٩٨٥)، (٩/ ٣٠).

(٤) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله رقم (٦٩٨٤)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب منه، رقم (٢٢٦١).

بهذا الحديث استراحوا؛ فصار الإنسان إذا رأى الرؤيا التي يكرهها بصق عن يساره ثلاث مرات، واستعاذ بالله من شرها ومن شرّ الشيطان، ولم يحدِّث بها أحداً، ثم لا تضره وكأنها ما صارت»[(١)].

ومن الفوائد والعبر التي ذكرها الشيخ السعدي ﷺ في قصة يوسف عليه السلام: «أن فيها أصلا لتعبير الرؤيا، وأن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبنى عليه المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، فإن رؤيا يوسف التي رأى أن الشمس والقمر، وأحد عشر كوكبا له ساجدين، وجه المناسبة فيها: أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها، وبها منافعها، فكذلك الأنبياء والعلماء، زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنوار، ولأن الأصل أبوه وأمه، وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نورا وجرما، لما هو فرع عنه. فلذلك كانت الشمس أمه، والقمر أباه، والكواكب إخوته.

ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث، فلذلك كانت أمه، والقمر والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته،. ومن المناسبة أن الساجد معظم محترم للمسجود له، والمسجود [له] معظم محترم، فلذلك دل ذلك على أن يوسف يكون معظما محترما عند أبويه وإخوته.

ومن لازم ذلك أن يكون مجتبى مفضلا في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال له أبوه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾»[(٢)(٣)].

---

(١) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٤/ ٣٧٦.

(٢) تفسير الكريم الرحمن للسعدي (١/ ٤٠٧).

(٣) سورة يوسف، الآية (٦).

وتأويل الرؤى فتوى كما قال تعالى على لسان ملك مصر: ﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[١].

(قال عبادة بن الصامت ﷺ: «رؤيا المؤمن كلام يكلِّم به الرب عبده في المنام».

وللرؤيا مَلَك موكَّل بها، يريها العبد في أمثال تناسبه وتشاكله، فيضربها لكل أحد بحسبه.

وقال مالك ﷺ: «الرؤيا من الوحي وحي، وزَجَرَ عن تفسيرها بلا علم، وقال: أتتلاعب بوحي الله؟»)[٢].

ومما جاء في الأثر عن تأويل الرؤى، قال ابن القيم ﷺ بعد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾:

«ومن هاهنا عبَّر بعض المعبرين لرجل قال له: رأيت كأن وجهي أسود، فقال له: ألك امرأة حامل؟ قال نعم، قال: تلد لك أنثى»[٣].

وجاء رجل إلى ابن سيرين ﷺ فقال: قد خطبت امرأة وقد رأيتها في المنام سوداء قصيرة، فقال ابن سيرين: اذهب فتزوجها، فإن سوادها مالها، وقُصْرُها قُصْرُ عمرها، فتزوجها الرجل، وماتت، فورث منها مالاً عظيماً، فالسواد في المنام سؤدد ومال[٤].

ورأى رجل من الأغنياء في منامه النبي ﷺ فقال له: إن أردت العافية

---

(١) سورة يوسف، الآية (٤٣).

(٢) التفسير القيم لابن القيم ص (٥٦).

(٣) التفسير القيم لابن القيم ص (٤١٧).

(٤) المعلم على حروف المعجم في تعبير الأحلام، لأبي طاهر إبراهيم بن يحيى بن غنَّام المقدسي الحنبلي، ص (٤١٥).

من مرضك[١] فخذ لا ولا، فلما استقيظ من منامه بعث إلى سفيان الثوري رحمه الله بعشرة آلاف درهم وقال: أنفق هذه على الفقراء، وأخبرني عن تأويل رؤياي، فأنفذ إليه سفيان الثوري يقول له: إنما كان قول الله عز وجل: ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[٢][٣].

ورأى بعض الخلفاء كأن أسنانه سقطت جميعاً فقصَّها على معبِّر، فقال: يموت أهلك كلهم، فغضب لذلك، وأنفذ إلى معبِّر له كان مريضاً، فحُمِل إليه، وقصَّ عليه الرؤيا، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أطول أهلك عمراً، ففرح بذلك، لأنه أحسن العبارة، وذكر الحياة، ولم يذكر الموت، والمعنى واحد[٤].

ورأت كذلك صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها قبل إسلامها كأن قمراً أقبل من المدينة سقط في حجرها، فقصَّت رؤياها على زوجها فلطمها على وجهها وطلقها، وقال: لعلك طمعت في هذا الصادق الأمين أنك تتزوجينه – يعني رسول الله ﷺ –، فصدقت رؤياها وصارت زوجة للنبي ﷺ[٥].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله: «قال بعض الناس: إن أصل الطب من المنامات، ولا ريب أن كثيراً من أصوله مستنداً إلى الرؤيا كما أن بعضها عن التجارب، وبعضها عن القياس، وبعضها عن الإلهام»، كتاب الروح (٢/ ٥٥٦). قلت: ربما يكون هذا الأثر حجة عند بعض الرقاة على علاقة الرؤى بالرقية! وهذا الكلام غير صحيح ويحتاج إلى دليل، فكلام ابن القيم رحمه الله مقصور على علاقة الرؤى بالطب، والله أعلم.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) المعلم على حروف المعجم في تعبير الأحلام، ص (٣٥٢، ٣٥٣)، قلت: أوَّل سفيان الثوري رحمه الله الرؤيا بأن دواء الرائي هو زيت الزيتون، والله أعلم.

(٤) المرجع السابق، ص (٤٢٣).

(٥) المرجع السابق ص (٥٩٦).

وقفات حول الطب النبوي

علم الطب من أجل العلوم نفعاً، وأعظمها وقْعاً، وقد عَنيَ الإسلام بالطب غاية العناية، والطب من ميراث النبوة، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «يقول ناس: إن أصل الطب مأخوذ من بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»(١).

فعن أبي الدرداء ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام**»(٢).

وعن جابر بن عبدالله ﵄، أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ﷻ**»(٣).

قال ابن حجر ﵀: «فيه الإشارة إلى أن الشفاء متوقف على الإصابة بإذن الله وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفيّة أو الكميّة فلا ينجع بل ربما أحدث داء آخر، وأن الدواء قد ينقلب داء إذا قدر الله ذلك وإليه الإشارة بقوله: بإذن الله فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته، وقد يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من داء بدواء فيبرأ ثم يعتريه ذلك الداء بعينه فيتداوى بذلك الدواء بعينه فلا ينجع، والسبب في ذلك الجهل بصفة من

---

(١) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٨١).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٧٤)، قال الشيخ الألباني ﵀: الحديث صحيح من حيث معناه لشواهده، انتهى. من التعليقات الرضية على الروضة الندية (٣/ ١٥٤).

(٣) صحيح مسلم (٢٢٠٤)، كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء، واستحباب التداوي، رقم: ٢٢٠٤، ٤/ ١٧٢٩.

صفات الدواء فرب مرضين تشابها[١] ويكون أحدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا[٢]»[٣].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «العلم علمان: فقه الأديان وعلم الأبدان»[٤].

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه[٥].

وقال بعض السلف رحمهم الله: «جمع الله الطب كلّه في نصف آية ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾»[٦][٧].

---

(١) قلت: ربما اختلف أحد المريضين عن الآخر في قبول طبيعته للدواء، كما قال ابن القيم رحمه الله، انظر: (ص: ٣٢)، وكما قال رحمه الله كذلك في موضع آخر في وصف الطبيب الحاذق: أن يعالج بالأسهل فالأسهل، فلا ينتقل من العلاج بالغذاء إلى الدواء إلا عند تعذُّره، ولا ينتقل إلى الدواء المركب إلا عند تعذُّر الدواء البسيط فمن حذق الطبيب علاجه بالأغذية بدل الأدوية، وبالأدوية البسيطة بدل المركبة، زاد المعاد (٤/ ٢٠٦).

(٢) قلت: الدواء البسيط: هو عبارة عن مادة واحدة كالعسل، وأما الدواء المركب: ما زاد عن مادة أو أكثر، كالعسل، والحبة السوداء...، فكلما اعتاد البدن على أصناف قليلة من الغذاء، كان للدواء البسيط أثر في علاج البدن، وكلما تعود البدن على أصناف كثيرة من الغذاء، كان للدواء المركب أثر في علاج البدن أكثر من الدواء البسيط، كما قال ابن القيم رحمه الله: «أن الأدوية من جنس الأغذية، فالأمة والطائفة التي غالب أغذيتها المفردات أعراضها قليلة جداً، وطبُّها بالمفردات وأهل المدن الذين غلبت عليهم الأغذية المركبة يحتاجون إلى الأدوية المركبة، وسبب ذلك أن أمراضهم في الغالب مركبة، فالأدوية المركبة أنفع لها، وأمراض أهل البوادي والصحاري مفردة، فيكفي فيه مداواتها الأدوية المفردة، فهذا برهان بحسب الصناعة الطبية» زاد المعاد (٤/ ١٠).

(٣) فتح الباري (١٠/ ١٣٥).

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١١٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٥٧).

(٦) سورة الأعراف: الآية: ٣١.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٠٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والله قد أباح للمؤمنين الطيبات فالذين يقتصدون في المآكل نعيمهم بها أكثر من نعيم المسرفين فيها فإن أولئك إذا ادمنوها وألفوها لا يبقى لها عندهم كبير لذَّة مع أنهم قد لا يصبرون عنها وتكثر أمراضهم بسببها[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: « فأرشد عباده إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوض ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكمية والكيفية، فمتى جاوز ذلك كان إسرافا، وكلاهما مانع من الصحة جالب للمرض، أعني عدم الأكل والشرب، أو الإسراف فيه، فحفظ الصحة كلّه في هاتين الكلمتين الإلهيتين»[٢].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: «فإن السَّرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشته»[٣].

وقال البيضاوي رحمه الله: «فإن من ملأ بطنه انتكست بصيرته وتشوَّشت فكرته، لِما يستولي على معادن إدراكه من الأبخرة الكثيرة الصاعدة من معدته إلى دماغه، فلا يأتي له نظر صحيح، ولا يتفق له رأي صالح، ولعله يقع في مداحض فيزيغ عن الحق، وغلب عليه الكسل والنعاس، فيمنعه عن وظائف العبادات، وقويت قوى بدنه وكثرت المواد والفضول فيه، فينبعث غضبه وشهوته، ويشتد شبقه لدفع ما زاد على ما يحتاج إليه بدنه فتُوقِعهُ بسبب ذلك في المحارم»[٤].

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية الجزء الثاني (ص٣٤٠).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٩٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٢٧٦).

(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (١/ ٦٨).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: «قال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء، وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى بيانًا شافيًا يغني عن كلام الأطباء فقال: (**ما ملأ آدمي وعاءً شرًّا من بطنٍ بحسب ابن آدم لقيماتٍ يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنفسه**)[(١)]، خرجه الترمذي من حديث المقدام بن معدي كرب.

وقد روي أن ابن ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث قال: «لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطلت[(٢)] المارستانات[(٣)] ودكاكين الصيادلة، وإنما قال هذا لأن أصل كل داء التُّخم»[(٤)].

وقال ابن قدامة رحمه الله: «من مداخل الشيطان وأبوابه العظيمة: الشبع، فإنه يقوِّي الشهوة، ويشغل الطاعة»[(٥)].

وقال الشافعي رحمه الله: «ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة أطرحتها، يعني فطرحتها، لأن الشبع يثقِّل البدن، ويضعف صاحبه عن

---

(١) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم ٢٣٨٠، ٤/ ٥٩٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٥٦٧٤، ٢/ ٩٩٠.

(٢) بالطبع هذا من صيغة المبالغة والإعجاب بهذا الحديث، وإلا فمكانة الطب مشروعة في الإسلام كما جاء في الحديث عنه ﷺ: «**مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ**». رواه أبو داود برقم (٤٥٧٨)، وأاخرجه النسائي برقم (٧٠٠٥) واللفظ له، وحسنة الألباني في صحيح الجامع رقم ٦١٥٣، ٢/ ١٠٥٩.

(٣) كلمة فارسية تعني المستشفيات.

(٤) جامع العلوم والأحكام (٢/ ٤٦٨).

(٥) مختصر مناهج القاصدين (ص: ١٤٩).

العبادة»[١].

وقال ابن القيم ﷺ: «الأمراض نوعان: أمراضٌ ماديةٌ تكون عن زيادة مادةٍ أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية، وهي الأمراض الأكثرية وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع البطيئة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة، فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية، واعتاد ذلك أورثته أمراضًا متنوعةً، منها بطيء الزوال وسريعه، فإذا توسَّط في الغذاء وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلًا في كميَّته وكيفيَّته، كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير، ومراتب الغذاء ثلاثةٌ:

أحدها: مرتبة الحاجة. والثانية: مرتبة الكفاية. والثالثة: مرتبة الفضلة.

فأخبر النبي ﷺ: أنه يكفيه لقيماتٌ يقمن صُلبه، فلا تسقط قوته، ولا تضعف معها، فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للماء، والثالث للنَّفَس، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب بحمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع. فامتلاء البطن من الطعام مضر للقلب والبدن»[٢].

وقال المروذي ﷺ: «جعل أبو عبدالله – يعني الإمام أحمد بن حنبل ﷺ – :

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٧٨).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٦).

يعظم الجوع والفقر، فقلت له: يؤجر الرجل في ترك الشهوات؟ فقال: وكيف لا يؤجر وابن عمر يقول: ما شبعت منذ أربعة أشهر»[١].

وهنا وقفات عدَّة حول التداوي بما جاء من القرآن والسنة النبوية، منها:

– العسل: أشار القرآن الكريم إلى التداوي والعلاج بالعسل، فقال سبحانه وتعالى في وصف النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٢].

وروى أبو سعيد الخدري: **أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثانية، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثالثة، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال: صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه فبرأ**[٣].

وكان عبدالله بن مسعود ﷺ يقول: (العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور)[٤].

وقال ابن القيم ﷺ: والعسل فيه منافع عظيمة، فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها، محلل للرطوبات أكلاً وطلاء، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم، ومن كان مزاجه بارداً رطباً وهو مغذٍ ملينٌ للطبيعة، حافظ لقوى المعاجين، ولما استودع فيه، مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة، منقٍّ للكبد والصدر، مدرٌّ للبول، موافق للسعال الكائن عن

---

(١) جامع العلوم والحكم ص (٥٠٤ – ٥٠٦).

(٢) سورة النحل: (٦٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، رقم ٥٦٨٤، ٧/ ١٢٣.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٦٤٢، ٣٠٦٤٣)، والطبراني في الكبير (٨٩١٠).

البلغم، وإذا شُرب حارًّا بدهن الورد نفع من نهش الهوام وشرب الأفيون، وإن شُرب وحده ممزوجاً بماء نفع من عضة الكَلْب الكَلِب، وأكل الفطر[١] القتال، وإذا جُعل في اللحم الطري، حفظ طراوته ثلاثة أشهر، وكذلك إن جُعل في القثاء، والخيار، والقرع، والباذنجان، ويحفظ كثيراً من الفاكهة ستة أشهر، ويحفظ جثة الموتى، ويسمَّى الحافظ الأمين، وإذا لُطخ به البدن المُقمل والشعر قتل قمله وصئبانه، وطوَّل الشعر، وحسَّنه ونعَّمه، وإن اكتحل به جلا ظلمة البصر، وإن استن به بيَّض الأسنان وصقلها، وحفظ صحتها، وصحة اللِّثة، ويفتح أفواه العروق، ويدر الطَّمث، ولعقه على الريق يُذهب البلغم، ويغسل خُمل المعدة، ويدفع الفضلات عنها، ويستخنها تسخيناً معتدلاً، ويفتح سُددها، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أقل ضرراً لسدد الكبد والطحال من كل حلو.

وهو مع هذا كله مأمون الغائلة قليل المضار، مضر بالعرض للصفراويين، ودفعها بالخل ونحوه، فيعود حينئذ نافعاً له جداً.

وهو غذاء مع الأغذية ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحلو مع الحلوى، وطلاء مع الأطلية، ومفرح مع المفرحات، فما خلق لنا في معناه أفضل منه، ولا مثله، ولا قريباً منه، ولم يكن معوَّل القدماء إلا عليه، وأكثر كتب القدماء لا ذِكر فيها للسكر البتة، ولا يعرفونه، فإنه حديث العهد حدث قريباً، وكان النبي ﷺ يشربه بالماء على الريق، وفي ذلك سر بديع في حفظ الصحة لا يدركه إلا الفطن الفاضل...، وفي أثر آخر: «عليكم

(١) الفطر بضمتين: نوع من الكمأة قتَّال.

بالشفاءين: العسل والقرآن»[١].

فجمع بين الطب البشري والإلهي، وبين طب الأبدان وطب الأرواح، وبين الدواء الأرضي والدواء السمائي.

إذا عُرف هذا، فهذا الذي وصف له النبي ﷺ العسل، كان استطلاق بطنه عن تُخمة أصابته عن امتلاء، فأمر بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء، فإن العسل فيه جلاء، ودفع للفضول، وكان قد أصاب المعدة أخلاط لزجة، تمنع استقرار الغذاء فيها للزوجتها، فإن المعدة لها خمل كخمل القطيفة، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها وأفسدت الغذاء، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط، والعسل جلاء، والعسل من أحسن ما عولج به هذا الداء، لاسيما إن مُزج بالماء الحار.

وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكميَّة، بحسب حال الداء، إن قصر عنه لم يزله بالكليَّة، وإن جاوزه أوهى القوى، فأحدث ضرراً آخر، فلما أمره أن يسقيه العسل، سقاه مقداراً لا يفي بمقاومة الداء، ولا يبلغ الغرض، فلما أخبره علم أن الذي سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة، فلما تكرر ترداده إلى النبي ﷺ أكَّد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء، برأ بإذن الله، واعتبار مقادير الأدوية وكيفيَّاتها، ومقدار قوة المرض من أكبر قواعد الطب.

وفي قوله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك» إشارة إلى تحقيق نفع

---

(١) سبق تخريجه ص (٦٢).

هذا الدواء، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه، ولكن لكذب البطن، وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة.

وليس طبُّه ﷺ كطب الأطباء، فإن طب النبي ﷺ متيقَّن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وطبُّ غيره أكثره حدس وظنون، وتجارب، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التَّلقِّي له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور – إن لم يتلقَّ هذا التَّلقِّي – لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجساً إلى رجسهم، ومرضاً إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه، فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيِّبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيِّبة، والقلوب الحيَّة، فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الدواء، ولكن لخبث الطبيعة، وفساد المحل، وعدم قبوله، والله الموفق[1].

– الحبة السوداء: عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام**»[2]، قال ابن شهاب: والسام: الموت، والحبة السوداء الشونيز.

قال الخطابي: قوله «من كل داء»، هو من العام الذي يراد به الخاص؛ لأنه ليس في طبع شيء من النبات ما يجمع جميع المور التي تقابل الطبائع في معالجة الأدواء بمقابلها، وإنما المراد أنها شفاء من كل داء يحدث من

(١) زاد المعاد (٤/ ٣١ – ٣٢).

(٢) صحيح البخاري كتاب الطب، باب الحبة السوداء برقم (٥٦٨٨) (٧/ ١٢٤).

الرطوبة، وقال أبو بكر بن العربي: العسل عند الأطلباء أقرب إلى أن يكون دواء من كل داء من الحبة السوداء، ومع ذلك فإن من الأمراض ما لو شرب صاحبه العسل لتأذى به، فإن كان المراد بقوله في العمل ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ الأكثر الأغلب، فحمل الحبة السوداء على ذلك أولى.

وقال غيره: كان النبي ﷺ يصف الدواء بحسب ما يشاهده من حال المريض، فلعل قوله في الحبة السوداء وافق مرض من مزاجه بارد، فيكون معنى قوله: شفاء من كل داء أي من هذا الجنس الذي وقع القول فيه، والتخصيص بالحيثية كثير شائع، والله أعلم.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: «تكلم الناس في هذا الحديث وخصُّوا عمومه وردُّوه إلى قول أهل الطب والتجربة، ولا خفاء بغلط قائل ذلك لنا إذا صدقنا أهل الطب – ومدار علمهم غالباً إنما هو على التجربة التي بناؤها على ظن غالب – فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم»[(١)].

– القسط الهندي: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أم قيس بنت محصن، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: " **عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفيةٍ: يستعط به من العُذرة، ويلدُّ به من ذات الجنب** »[(٢)].

قال ابن حجر رحمه الله: «وقد ذكر الأطباء من منافع القسط أنه يدر الطَّمث والبول، ويقتل ديدان الأمعاء، ويدفع السُّم وحمَّى الرِّبع[(٣)] والورد،

(١) فتح الباري (١٠/ ١٤٥).

(٢) صحيح البخاري، باب السعوط بالقسط الهندي والبحري (٧/ ١٢٤).

(٣) هي التي تنوب كل رابع يوم.

ويسخن المعدة، ويحرك شهوة الجماع، ويذهب الكلف طلاء، فذكروا أكثر من سبعة، وأجاب بعض الشرَّاح بأن السبعة علمت بالوحي، وما زاد عليها بالتجربة.

فاقتصر على ما هو بالوحي لتحققه، وقيل: ذكر ما يحتاج إليه دون غيره؛ لأنه لم يبعث بتفاصيل ذلك. قلت: ويحتمل أن تكون السبعة الأصول صفة التداوي بها؛ لأنها إما طلاء، أو شرب، أو تكميد، أو تنطيل، أو تبخير، أو سعوط، أو لدود، فالطلاء يدخل في المراهم ويحلى بالزيت ويلطخ، وكذا التكبيد، والشرب يسحق ويجعل في عسل أو ماء أو غيرهما، وكذا التنطيل والسعوط يسحق في زيت ويقطر في الأنف، وكذا الدهن والتبخير واضح، وتحت كل واحدة من المنافع السبعة لأدواء مختلفة، ولا يستغرب ذلك ممن أوتى جوامع الكلم، وأما العُذرة فهي بضم المهملة وسكون المعجمة، وجع في الحلق يعتري الصبيان غالباً، وقيل: هي قرحة تخرج بين الأذن والحلق أو في الخرم الذي بين الأنف والحلق. قيل: سميت بذلك لأنها تخرج غالباً عند طلوع العذرة، وهي خمسة كواكب تحت الشعرى العبور، ويقال لها أيضاً العذارى، وطلوعها يقع وسط الحر، وقد استشكل معالجتها بالقسط مع كونه حارًّا، والعذرة إنما تعرض في زمن الحر بالصبيان وأمزجتهم حارة، و لاسيما وقطر الحجاز حار، وأجيب بأن مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم، وفي القسط تخفيف للرطوبة، وقد يكون نفعه في هذا الدواء بالخاصية، وأيضاً فالأدوية الحارة قد تنفع في الأمراض الحارة بالعرض كثيراً، بل وبالذات أيضاً، وقد ذكر ابن سينا في

معالجة سقوط اللَّهاة القسط مع الشَّبِّ اليماني وغيره، على أنَّا لو لم نجد شيئاً من التوجيهات لكان أمر المعجزة خارجاً عن القواعد الطبية»[١].

- ماء زمزم: روى أبي ذر الغفاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(زمزم طعام طعم وشفاء سقم)**[٢].

كان ابن عباس رضي الله عنهما إذا شرب ماء زمزم قال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء»[٣].

ومن فوائد شرب ماء زمزم قصة والد ابن الجزري عالم القراءات وكان تاجراً فمكث أربعين سنة لا يولد له ثم حج فشرب ماء زمزم بنيَّة ولد عالم فولد له هذا العالم[٤].

وقال ابن القيم ﷺ: «وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدَّة أمراض، فبرئت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر، ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوماً، وكان له قوة يجامع بها أهله، ويصوم ويطوف مراراً»[٥].

- التلبينة: عن عائشة، زوج النبي ﷺ: أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصَّتها، أمرت ببرمةٍ من تلبينةٍ

(١) فتح الباري (١٠/ ١٤٩).
(٢) المطالب العالية، رقم ١٣١٢، (٧/ ١٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٥٧٢، (١/ ٦٦٨).
(٣) مصنف عبد الرزاق (٥/ ١١) برقم (٥١١٣).
(٤) الضوء اللامع لأهل القرأن (٩/ ٢٥٥).
(٥) زاد المعاد (١/ ٣٦١).

فطبخت، ثم صنع ثريدٌ فصبت التلبينة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**التلبينة مجمةٌ لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن**»(١).

التلبين: هو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن، ومنه اشتق اسمه، قال الهروي: سميت تلبينةً لشبهها باللبن لبياضها ورقتها، وهذا الغذاء هو النافع للعليل، وهو الرقيق النضيج لا الغليظ النيِّئ، وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي ماء الشعير لهم، فإنها حِساءٌ متخذٌ من دقيق الشعير بنخالته، والفرق بينها وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحًا، والتلبينة تطبخ منه مطحونًا، وهي أنفع منه لخروج خاصِّيَّة الشعير بالطحن، وقد تقدم أن للعادات تأثيرًا في الانتفاع بالأدوية والأغذية، وكانت عادة القوم أن يتخذوا ماء الشعير منه مطحونًا لا صحاحًا، وهو أكثر تغذيةً وأقوى فعلًا وأعظم جلاءً، وإنما اتخذه أطباء المدن منه صحاحًا ليكون أرق وألطف، فلا يثقل على طبيعة المريض، وهذا بحسب طبائع أهل المدن ورخاوتها، وثقل ماء الشعير المطحون عليها. والمقصود: أن ماء الشعير مطبوخًا صحاحًا ينفذ سريعًا، ويجلو جلاءً ظاهرًا ويغذي غذاءً لطيفًا. وإذا شرب حارا كان جلاؤه أقوى، ونفوذه أسرع وإنماؤه للحرارة الغريزية أكثر، وتلميسه لسطوح المعدة أوفق.

وقوله ﷺ فيها: («مجمةٌ لفؤاد المريض») يروى بوجهين. بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم، والأول: أشهر ومعناه: أنها مريحةٌ له، أي تريحه وتسكنه من الإجمام، وهو الراحة. وقوله " تذهب ببعض الحزن " هذا – والله أعلم – لأن الغم والحزن يبردان المزاج، ويضعفان الحرارة الغريزية لميل الروح

(١) رواه البخاري، باب التلبينة، برقم (٥٤١٧) (٧/ ٧٥).

الحامل لها إلى جهة القلب الذي هو منشؤها، وهذا الحِساء يقوي الحرارة الغريزية بزيادته في مادتها، فتزيل أكثر ما عرض له من الغم والحزن.

وقد يقال – وهو أقرب – إنها تذهب ببعض الحزن بخاصِّيَّةٍ فيها من جنس خواص الأغذية المفرحة، فإن من الأغذية ما يفرح بالخاصية، والله أعلم.

وقد يقال: إن قُوى الحزين تضعف باستيلاء اليُبْس على أعضائه، وعلى معدته خاصةً لتقليل الغذاء، وهذا الحساء يرطبها ويقويها ويغذيها، ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض، لكن المريض كثيرًا ما يجتمع في معدته خلطٌ مراري، أو بلْغَمي أو صديدي، وهذا الحِساء يجلو ذلك عن المعدة ويسروه، ويحدره ويُميعه ويعدِّل كيفيَّته ويكسر سورته، فيريحها ولا سيما لمن عادته الاغتذاء بخبز الشعير، وهي عادة أهل المدينة إذ ذاك، وكان هو غالب قُوتَهم، وكانت الحِنطة عزيزةً عندهم. والله أعلم[(١)].

-**السَّنا**: عن إبراهيم بن أبي عبلة، قال: سمعت عبد الله بن أم حرام، وكان قد صلى مع رسول الله ﷺ القبلتين يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: («عليكم بالسَّنا والسنوت، فإن فيهما شفاءً من كل داءٍ إلا السام " قيل يا رسول الله! وما السام؟ قال: الموت»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: «هو نبتٌ حجازي أفضله المكي، وهو دواءٌ شريفٌ مأمون الغائلة، قريبٌ من الاعتدال، حار يابسٌ في الدرجة الأولى، يسهل الصفراء والسوداء، ويقوي جرم القلب، وهذه فضيلةٌ شريفةٌ فيه، وخاصِّيَّته النفع من الوسواس السوداوي، ومن الشقاق العارض في البدن، ويفتح

(١) زاد المعاد لابن القيم، فصل هديه ﷺ في تغذية المريض بالطب (٤/ ١١٠).

(٢) رواه ابن ماجه برقم (٣٤٥٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٨).

العضل وينفع من انتشار الشعر، ومن القمل والصداع العتيق، والجرب والبثور، والحكة والصرع، وشرب مائه مطبوخًا أصلح من شربه مدقوقًا، ومقدار الشربة منه ثلاثة دراهم، ومن مائه خمسة دراهم، وإن طبخ معه شيءٌ من زهر البنفسج والزبيب الأحمر المنزوع العجم، كان أصلح.

قال الرازي: السَّناء والشاهترج يسهلان الأخلاط المحترقة، وينفعان من الجرب والحكة، والشربة من كل واحدٍ منهما من أربعة دراهم إلى سبعة دراهم.

وأما السنوت ففيه ثمانية أقوالٍ: أحدها: أنه العسل. والثاني: أنه رب عكة السمن يخرج خططًا سوداء على السمن، حكاهما عمرو بن بكر السكسكي. الثالث: أنه حب يشبه الكمُّون وليس به، قاله ابن الأعرابي. الرابع: أنه الكمُّون الكرماني. الخامس: أنه الرازيانج. حكاهما أبو حنيفة الدينوري عن بعض الأعراب. السادس: أنه الشبت. السابع: أنه التمر حكاهما أبو بكر بن السُّنِّي الحافظ. الثامن: أنه العسل الذي يكون في زقاق السمن، حكاه عبد اللطيف البغدادي. قال بعض الأطباء: وهذا أجدر بالمعنى وأقرب إلى الصواب، أي يخلط السَّناء مدقوقًا بالعسل المخالط للسمن، ثم يلعق فيكون أصلح من استعماله مفردًا لما في العسل والسمن من إصلاح السَّنا، وإعانته له على الإسهال. والله أعلم»[1].

– زيت الزيتون: شجرة الزيتون شجرة مباركة، وقد أقسم الله ﷻ بها فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾.

(١) زاد المعاد لابن القيم، فصل هديه ﷺ وسلم في يبس الطبع (٤/ ٨٨).

عن عُمر بن الخطاب ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ»(١).

قال ابن القيم ﷺ: «الزيت حار رطبٌ في الأولى، وغلط من قال: يابسٌ، والزيت بحسب زيتونه، فالمعتصر من النضيج أعدله وأجوده، ومن الفج فيه برودةٌ ويبوسةٌ، ومن الزيتون الأحمر متوسطٌ بين الزيتين، ومن الأسود يسخن ويرطب باعتدالٍ، وينفع من السموم، ويطلق البطن، ويخرج الدود، والعتيق منه أشد تسخينًا وتحليلًا، وما استخرج منه بالماء، فهو أقل حرارةً، وألطف وأبلغ في النفع، وجميع أصنافه ملينةٌ للبشرة، وتبطئ الشيب.

وماء الزيتون المالح يمنع من تنفط حرق النار، ويشد اللثة، وورقه ينفع من الحمرة، والنملة، والقروح الوسخة، والشرى، ويمنع العرق، ومنافعه أضعاف ما ذكرنا»(٢).

- الكمأة: ثبت عن النبي ﷺ، أنه قال: «الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»(٣).

قال ابن القيم ﷺ: « والكمأة تكون في الأرض من غير أن تزرع، وسميت كمأةً لاستتارها، ومنه كمأ الشهادة، إذا سترها وأخفاها، والكمأة مخفيةٌ تحت الأرض لا ورق لها ولا ساق، ومادتها من جوهرٍ أرضي بخاري محتقنٍ في الأرض نحو سطحها يحتقن ببرد الشتاء، وتنميه أمطار الربيع، فيتولد ويندفع

(١) الترمذي في سننه برقم (١٨٥١)، حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٩) (٢/ ٧٢٤).

(٢) زاد المعاد، (٤/ ٢٩١).

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه، باب المن شفاء العين، برقم (٥٧٠٨) (٧/ ١٢٦)، ومسلم، باب فضل الكمأة ومداواة العين بها برقم ١٥٧ – (٢٠٤٩) (٣/ ١٦١٩).

نحو سطح الأرض متجسدًا، ولذلك يقال لها: جدري الأرض، تشبيهًا بالجدري في صورته ومادته، لأن مادته رطوبةٌ دمويةٌ، فتندفع عند سن الترعرع في الغالب، وفي ابتداء استيلاء الحرارة، ونماء القوة.

وهي مما يوجد في الربيع، ويؤكل نيئًا ومطبوخًا، وتسميها العرب: نبات الرعد لأنها تكثر بكثرته، وتنفطر عنها الأرض، وهي من أطعمة أهل البوادي، وتكثر بأرض العرب، وأجودها ما كانت أرضها رمليةً قليلة الماء.

وهي أصنافٌ: منها صنفٌ قتالٌ يضرب لونه إلى الحمرة يحدث الاختناق.

وهي باردةٌ رطبةٌ في الدرجة الثالثة، رديئةٌ للمعدة، بطيئة الهضم، وإذا أدمنت أورثت القولنج والسكتة والفالج، ووجع المعدة، وعسر البول، والرطبة أقل ضررًا من اليابسة، ومن أكلها فليدفنها في الطين الرطب، ويسلقها بالماء والملح والصعتر، ويأكلها بالزيت والتوابل الحارة، لأن جوهرها أرضي غليظٌ، وغذاؤها رديءٌ لكن فيها جوهرٌ مائي لطيفٌ يدل على خفتها، والاكتحال بها نافعٌ من ظلمة البصر والرمد الحار، وقد اعترف فضلاء الأطباء بأن ماءها يجلو العين، وممن ذكره المسبحي وصاحب القانون وغيرهما»[(١)].

- **التمر**: في التمر خاصيَّة عجيبة لهذا الداء، ولا سيما تمر المدينة، ولا سيما العجوة منه، وفي كونها سبعاً خاصيَّة أخرى، تُدرك بالوحي، وفي الصحيحين من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصبَّح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سُمٌّ ولا سِحر**»[(٢)].

---

(١) زاد المعاد، (٤/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب: العجوة، رقم: ٥٤٤٥، ٧/ ٨٠.

وفي لفظ: «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها[١] حين يصبح، لم يضره سُم حتى يُمسي»[٢])[٣].اهـ. ويرى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ﷺ أنه لا يمنع من وجود تلك الفائدة في أنواع التمر الأخرى التي أشار إليها عليه الصلاة والسلام[٤].

وقد ورد ذكره في القرآن، قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾[٥]. وذكر القرطبي ﷺ في تفسيره: «ذكر الأطباء أن الرطب – وعند عدمه التمر – من أنفع الأغذية للحامل، لاسيما قبل الولادة وبعدها.

قال الربيع بن خثيم: ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية، ولو علم الله شيئاً هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم، ولذلك قالوا: التمر عادة للنفساء من ذلك الوقت، وكذلك التَّحنيك، وقيل: إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل»[٦].

– **ألبان الإبل وأبوالها:** قال ابن حجر في باب الدواء بأبوال الإبل: «عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما رفعه: «عليكم بأبوال الإبل فإنها نافعةٌ للذَّرِبة بطونهم» والذَّرِبة بفتح المعجمة وكسر الراء جمع ذربٍ والذرب بفتحتين فساد المعدة[٧].

---

(١) المراد بذلك المدينة المنورة.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الأشربة، باب: فضل تمر المدينة رقم: ٢٠٤٧، ٣/ ١٦١٨.

(٣) الطب النبوي لابن القيم ص٦٩ – ٧١.

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ١٠٩).

(٥) سورة مريم، الآية: ٢٥.

(٦) تفسير القرطبي (١٣/ ٤٣٧).

(٧) فتح الباري (١٠/ ١٤٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «قال صاحب " القانون ": ولا يلتفت إلى ما يقال: من أن طبيعة اللبن مضادةٌ لعلاج الاستسقاء. قال: واعلم أن لبن النوق دواءٌ نافعٌ لما فيه من الجلاء برفقٍ، وما فيه من خاصيةٍ وأن هذا اللبن شديد المنفعة، فلو أن إنسانًا أقام عليه بدل الماء والطعام شفي به، وقد جرب ذلك في قومٍ دفعوا إلى بلاد العرب فقادتهم الضرورة إلى ذلك فعُوفوا. وأنفع الأبوال: بول الجمل الأعرابي، وهو النجيب»[(١)].

- الصبر

عن نبيه بن وهب قال: «روى مسلم في صحيحه من حديث نبيه بن وهب قال: خرجنا مع أبان بن عثمان حتى إذا كنا بملل اشتكى عمر بن عبيدالله عينيه، فلما كنا بالروحاء اشتد وجعه، فأرسل إلى أبان بن عثمان يسأله، فأرسل إليه أن أضمدهما بالصبر، فإن عثمان حدث عن رسول الله ﷺ في الرجل إذا اشتكى وهو محرم ضمَّدهما بالصبر»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: «الصبر كثير المنافع، لا سيما الهندي منه، ينقي الفضول الصفراوية التي في الدماغ وأعصاب البصر، وإذا طلي على الجبهة والصدغ بدهن الورد، نفع من الصداع، وينفع من قروح الأنف والفم، ويسهل السوداء والماليخوليا.

والصبر الفارسي يذكِّي العقل، ويمدُّ الفؤاد، وينقِّي الفضول الصفراوية والبلغميه من المعدة إذا شرب منه ملعقتان بماءٍ، ويرد الشهوة الباطلة والفاسدة، وإذا شرب في البرد، خيف أن يسهل دمًا »[(٣)].

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب جواز مداواة المحرم عينية، (٢/ ٨٦٣) برقم ١٢٠٤.

(٣) زاد المعاد (٤/ ٣٠٦).

- الكَبَاث

عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ نجني الكَبَاث، وإن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالأسودِ منه، فإنه أطيبه»، قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: «وهل من نبي إلا وقد رعاها»[١].

قال ابن القيم رحمه الله: «الكَبَاث بفتح الكاف والباء الموحدة المخففة والثاء المثلثة، ثمر الأراك وهو بأرض الحجاز، وطبعه حار يابس، ومنافعه كمنافع الأراك: يقوِّي المعدة، ويجيد الهضم، ويجلو البلغم، وينفع من أوجاع الظهر، وكثير من الأدواء، وقال ابن جلجل: إذا شرب طبيخه أدر البول ونقى المثانة، وقال ابن رضوان: يقوِّي المعدة، ويمسك الطبيعة»[٢].

-الملح:

عن علي ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «لعن الله العقرب، لا تدعُ مصلياً ولا غيره»، ثم دعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ: بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: «فإن في الملح نفعًا لكثيرٍ من السموم، ولا سيما لدغة العقرب، قال صاحب " القانون ": يضمد به مع بذر الكتان للسع العقرب، وذكره غيره أيضًا. وفي الملح من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها، ولما كان في لسعها قوةٌ ناريةٌ تحتاج إلى تبريدٍ وجذبٍ وإخراجٍ، جمع بين الماء المبرد لنار اللسعة، والملح الذي فيه جذبٌ وإخراجٌ، وهذا أتم ما يكون من

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٠٦)، ومسلم برقم (٢٠٥٠).

(٢) زاد المعاد (٤/ ٣٣٥).

(٣) المعجم الصغير (ص ١١٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢/ ٨٠)، برقم (٥٤٨).

العلاج، وأيسره، وأسهله، وفيه تنبيهٌ على أن علاج هذا الداء بالتبريد والجذب والإخراج والله أعلم[١].

وقد روى مسلم في " صحيحه " عن أبي هريرة قال: («جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما لقيت من عقربٍ لدغتني البارحة فقال: « **أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك** »[٢].

- الحجامة والكيّ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (**الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكيَّة نار، وأنهى أمتي عن الكي**) [٣].

وثبت في الصحيحين في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم الذين «**لا يسترقُون، ولا يكتوون، ولا يتطَّيرون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون**»[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: «فقد تضمَّنت أحاديث الكي أربعة أنواع، أحدها: فعله؛ والثاني: عدم محبته له؛ والثالث: الثناء على مَن تركه؛ والرابع: النهي عنه، ولا تعارض بينهما بحمد الله تعالى. فإن فعله يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على تاركه، فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه، فعلى سبيل الاختيار والكراهة، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه، بل يفعل خوفاً من حدوث الداء. والله أعلم»[٥].

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٥٩، ٢٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره برقم (٢٧٠٩)، (٤/ ٢٠٨١).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الطب، ، باب الشفاء في ثلاث برقم (٥٦٨٠) (٧/ ١٢٢).

(٤) صحيح البخاري برقم ٥٧٠٥، ومسلم برقم ٢٢٠، وليس فيه موضع الشاهد ولا يكتوون.

(٥) زاد المعاد (٤/ ٨٩).

وقفة حول حقيقة تلبس الجن بالإنس

في هذا الموضوع بيان وفتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برقم ٢١٥١٨ بشأن مسألة دخول الجنّي في بدن الإنسي، ونصُّه الآتي:

«دلَّ كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة على جواز دخول الجنّي بالإنسي، ووقوعه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[١]. قال ابن جرير ﷺ: يعني بذلك: يتخبله الشيطان في الدنيا، وهو الذي يتخنقه فيصرعه، (من المس) يعني من الجنون»[٢].

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان	عبدالعزيز آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

وقد سئل معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء عن الصرع فقال: الصرع على نوعين: النوع الأول: صرع بسبب مرض عصبي: هذا علاجه عند الأطباء. وأما النوع الثاني من الصرع فهو صرع بسبب مس الجن هذا علاجه بالرقية الشرعية[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «ولما غفل الناس عن الأوراد الشرعية كثرت فيهم الجن الآن وتلاعبت بهم»[٤].

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ١١٥).

(٣) الرقية الشرعية ضوابطها ومحاذيرها (ص: ٥٣)، إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.

(٤) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٨/ ١٩٧).

صرع الجن:

عن ابن يعلى بن مرة عن النبي ﷺ أنه أتته امرأة بابن لها قد اصابه لمم- الصرع- فقال النبي ﷺ: «اخرج عدو الله أنا رسول الله» قال: فبرأ فأهدت له كبشين وشيئاً من أقط وسمن، فقال رسول الله ﷺ: «يا يعلى خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين وردّ عليها الآخر»[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله: «وعلاج هذا النوع يكون بأمرين: أمرٍ من جهة المصروع، وأمرٍ من جهة المعالج، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان، فإن هذا نوع محاربةٍ، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحًا في نفسه جيدًا، وأن يكون الساعد قويا، فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائلٍ، فكيف إذا عدم الأمران جميعًا: يكون القلب خرابًا من التوحيد، والتوكل، والتقوى، والتوجه، ولا سلاح له.

والثاني: من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الأمران أيضًا حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: " اخرج منه ". أو بقول: " بسم الله "، أو بقول: " لا حول ولا قوة إلا بالله ". والنبي ﷺ كان يقول: («**اخرج عدو**

(١) رواه أحمد، مسند أحمد (٤/ ١٧٢)، والحاكم وصححه، وقال المنذري في الترغيب: إسناده جيد، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٦): أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

الله أنا رسول الله»)[١].

قلت: فأين بعض الرقاة من هذا الأثر حينما يسترسلون في الحديث مع بعض المقروء عليهم؟! فقد يكون من بين هؤلاء المقروء عليهم مرضى نفسيون يتوهَّمون تلبُّس الجن أو السحر[٢].

وقد تكون حجة أحدهم بأن لديه تجربة من عقدين أو ثلاثة، وربما كانت هذه التجربة طيلة هذه المدة على طريقة غير صحيحة، والله المستعان.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباسٍ: ألا أريك امرأةً من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» **فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشَّف، فادع الله لي أن لا أتكشَّف، فدعا لها حدثنا محمدٌ، أخبرنا مخلدٌ، عن ابن جريجٍ، أخبرني عطاءٌ: «أنه رأى أم زفر تلك امرأةً طويلةً سوداء، على ستر الكعبة»**[٣].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه.

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٦٢).

(٢) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١٦٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المرض، باب: فضل من يصرع من الريح، رقم: ٥٦٥٢، ٧/ ١١٦.

وأما صرع الأرواح، فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيِّرة العُلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتُدافع آثارها، وتعارض أفعالها وتُبطلها، وقد نصَّ على ذلك بقراط في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح، فلا ينفع فيه هذا العلاج»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وصرع الجن هو لأسباب ثلاثة:

تارة يكون الجنّي يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به، وهذا الصرع أرفق من غيره وأسهل.

وتارة يكون الإنسّي آذاهم إذا بال عليهم، أو صب عليهم ماء حاراً، أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى، وهذا أشد الصرع، وكثيراً ما يقتلون المصروع.

وتارة يكون بطريق العبث كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل»[(٢)].

وقال عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل: (قلت لأبي: إن أقواماً يقولون إن الجنّي لا يدخل في بدن المصروع فقال : يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه)[(٣)].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٧٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٧).

وقد ورد سؤال لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ﷺ في فتاوى نور على الدرب ما نصه:

س: هل الشيطان يتكلم على ألسنة البشر؟

ج: قد يتكلم على ألسنة البشر، ويكذب عليهم، وقد يغرّ الناس في أشياء كثيرة يكذبها[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (وليس من أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك، وادعى أن الشرع يُكذِّب ذلك، فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك)[٢].

وذكر ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله: (وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردةً فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يحسُّ بألمٍ، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارًا.

وكان كثيرا ما يقرأ في أذن المصروع: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وحدثني[٣] أنه قرأها مرةً في أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومدَّ بها صوته. قال: فأخذت عصًا، وضربته[٤] بها في عروق عنقه حتى كلَّت

---

(١) فتاوى نور على الدرب، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ١/ ٢٣٢.

(٢) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية ٣/ ١٣، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية.

(٣) الكلام للإمام ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رفع الله درجاتهما في أعلى عليين.

(٤) قلت: ليس الاستشهاد بهذه القصة جواز الضرب على إطلاقه؛ فربما يظن بعض الرقاة في

يداي من الضرب، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضرب ففي أثناء الضرب قالت: «أنا أحبه،فقلت لها: هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحج به، فقلت لها هو لا يريد أن يحج معك، فقالت أنا أدعه كرامةً لك، قال: قلت: لا ولكن طاعةً لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرج منه، قال: فقعد المصروع يلتفت يمينًا وشمالًا، وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ، قالوا له: وهذا الضرب كله؟ فقال وعلى أي شيءٍ يضربني الشيخ ولم أذنب، ولم يشعر بأنه وقع به ضربٌ ألبتة، وكان يعالج بآية الكرسي، وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروع ومن يعالجه بها، وبقراءة المعوذتين.

وبالجملة فهذا النوع من الصرع، وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر، والتعاويذ، والتحصنات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عريانًا فيؤثر فيه هذا، ولو كشف الغطاء لرأيت أكثر

وقتنا الحاضر حينما يتخبَّط المريض النفسي تخبُّطاً وهميًّا. للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١٦٣) في أثناء الرقية بأنه مصاب بتلبس الجن فيقوم بضربه بدعوى طرد الجن قال الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله: (ينبغي تركه؛ لأنه قد يتعدي عليه وقد يضره على غير بصيرة، ولقد ورد عن بعض الأئمة فعل مثل ذلك الضرب. وهذا يحتاج إلى نظر؛ فإن الخنق والضرب قد يترتب عليه هلاك المريض، والمشروع هو القراءة فقط بالآيات والدعوات الطيبة، وهذا هو الذي ورد عن النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عنهم ولا نعرف أنهم كانوا يضربون.. فالواجب عدم فعل ذلك وعدم التعرض لهذا الخطر العظيم، ولو كان خيراً لبينه النبي ﷺ ولبينه الصحابة، ثم هذا في الغالب تخرصات قد تفضي إلى هلاك المريض) (مجلة الدعوة العدد ١٥٤٣).

النفوس البشرية صرعى هذه الأرواح الخبيثة، وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت، ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها، وبها الصرع الأعظم الذي لا يفيق صاحبه إلا عند المفارقة والمعاينة، فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقةً، وبالله المستعان) [١].

قلت: هذا من جهة حقيقة تلبس الجن بالأنس. أما بالنسبة لقرين الجن فليس له علاقة بتلبس الإنس كما يعتقده كثير من المراجعين.

فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن**». قالوا: وإياك يارسول الله ؟ قال: «**وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم. فلا يأمرني إلا بخير**»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكان ابن عُيينة يرويه: فأسلم – بالضم– ويقول: إن الشيطان لا يسلم، لكن قوله في الرواية الأخرى: «فلا يأمرني إلا بخير» دل أنه لم يبق يأمره بالشر، وهذا إسلامه، وإن كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله – كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره، وقد عرف العدو المقهور أن ذلك القاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر فلا يقبله، بل يعاقبه على ذلك؛ فيحتاج لانقهاره معه إلى أنه لا يشير عليه إلا بخير لذلته وعجزه لا لصلاحه ودينه؛ ولهذا قال ﷺ : **إلا أن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير**»[٣].

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٦٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثه إياه لفتنة الناس، وأن لكل إنسان قريناً، رقم: ٢٨١٤، ٤/ ٢١٦٧.

(٣) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٤).

لغات الجن:

قد يتكلم المقروء عليه في أثناء الرقية بلغة مختلفة عن لغة بلاده، فربما غلب على ظن الراقي بأنه مصاب بتلبس الجن من جنس تلك البلاد التي نطق بلغتها على لسانه، فعلى الراقي المعالج أن ينظر في التاريخ المرضي للمستفيد حتى يميِّز بينه وبين المريض النفسي الذي له معرفة بتلك اللغة التي تكلم بها، فقد تكون هذه اللغة من ذاكرته؛ بينما المصاب بتلبس الجن أو السحر الذي ليس له معرفة باللغة التي نطق بها الجانّ على لسان المقروء عليه، قد يكون من جنس تلك البلاد والله أعلم، وربما أشكل التمييز بينهما على بعض الرقاة[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (هذا الذي قاله[٢] مشهور، فإنه يصرع الرجل[٣]، فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ويُضرب على بدنه ضرباً عظيماً، لو ضرب به جمل، لأثر به أثراً عظيماً، والمصروع مع هذا لا يحسُّ الضرب، ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يُجَرّ المصروعُ وغير المصروع، ويجر البساط الذي يجلس عليه ويحوِّل الآلات ... ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علماً ضرورياً، بأن الناطق على لسان الإنس، والمحرك لهذه الأجسام، جنس آخر غير الإنسان)[٤].

---

(١) ذكرت قصة حول هذا الموضوع، انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي ص ٢٤٠.

(٢) يعني بذلك الكلام السابق للإمام أحمد بن حنبل ﷺ، انظر: (ص ٨١).

(٣) يعني بذلك ﷺ الجنِّي المتلبس بالإنسي.

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ١٣)، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.

وهنا أنقل فائدة نفيسة من فتاوى سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز ﷺ تتعلق بهذا الموضوع، فقد سئل ﷺ عن لغات الجن، فأجاب بما نصه:

«الذي يظهر أنهم مثل الإنس، لهم لغات متعددة، ففيهم الإنجليزي وفيهم الفرنسي، والعجمي، والعربي وهكذا، فهم أجناس؛ لأن الله قال عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾[(١)] فهم على طرائق، وقال سبحانه عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾[(٢)]. يعني أقساماً، وفرقاً فيهم الطيّب، وفيهم الخبيث، وفيهم الجهمي، وفيهم السنّي، وفيهم الرَّافضي، وفيهم النَّصراني، وفيهم اليهودي، وفيهم غير ذلك، أقسام وفرق شتى، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[(٣)]. فقوله: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعمُّ الفرق الأخرى»[(٤)].

---

(١) سورة الجن، الآية: ١١.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٤.

(٣) سورة الجن، الآية: ١١.

(٤) فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، نور على الدرب، ١/ ٢٣٦.

الصرع العصبي:

عرف قديماً بصرع الأخلاط، وهو يختلف عن صرع الجن كما قال ابن القيم رحمه الله: (وأما صرع الأخلاط، فهو علةٌ تمنع الأعضاء النفسية[١] عن الأفعال والحركة والانتصاب منعًا غير تام، وسببه خلطٌ غليظٌ لزجٌ يسدُّ منافذ بطون الدماغ سدَّةً غير تامةٍ، فيمتنع نفوذ الحس والحركة فيه وفي الأعضاء نفوذًا تاما من غير انقطاعٍ بالكلية، وقد تكون لأسبابٍ أخر كريحٍ غليظٍ يحتبس في منافذ الروح، أو بخارٍ رديءٍ يرتفع إليه من بعض الأعضاء، أو كيفيةٍ لاذعةٍ، فينقبض الدماغ لدفع المؤذي، فيتبعه تشنُّج في جميع الأعضاء[٢]، ولا يمكن أن يبقى الإنسان معه منتصبًا، بل يسقط، ويظهر في فِيْه الزَّبد غالبًا[٣].

وهذه العلَّة تُعدُّ من جملة الأمراض الحادة باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصَّةً، وقد تُعدُّ من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول مكثها، وعسر بُرئها، لا سيما أن تجاوز في السن خمسًا وعشرين سنةً، وهذه العِلَّة في دماغه، وخاصةً في جوهره، فإن صرع هؤلاء يكون لازمًا، قال أبقراط: إن الصرع يبقى في هؤلاء حتى يموتوا[٤].

---

(١) ربما يعني بذلك الأعضاء العصبية، أو ما يسمى بمصطلح الطب النفسي الموصلات العصبية.

(٢) إذا تأملنا هذا الكلام جيداً حينها لا نستنكر نوبة الصرع عند بعض المرضى في أثناء ما يمر بإجهاد نفسي سواء أكان من خبر مُحزن أو غيره من الصدمات النفسية .

(٣) في أثناء مشاركتي في إحدى اللقاءات مع بعض الأطباء وبعض الرقاة استشهدت بهذا الكلام في التمييز بين صرع الجن والصرع العصبي، فقال لي أحد الأطباء معجباً بهذا الكلام: هل درس ابن القيم رحمه الله الطب؟

(٤) قلت: في كلام أبقراط هذا نظر وهذا على حد علمه في زمنه، أما في زمننا هذا فقد يشفى بعض مرضى الصرع تماماً بفضل الله عز وجل ثم بتناول الأدوية الحديثة.

إذا عرف هذا، فهذه المرأة[١] التي جاء الحديث أنها كانت تصرع وتتكشَّف، يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع، فوعدها النبي ﷺ الجنة بصبرها على هذا المرض، ودعا لها ألا تتكشَّف، وخيرها بين الصبر والجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمانٍ، فاختارت الصبر والجنة.

وفي ذلك دليلٌ على جواز ترك المعالجة والتداوي، وأن علاج الأرواح بالدعوات والتوجه إلى الله يفعل ما لا يناله علاج الأطباء، وأن تأثيره وفعله، وتأثر الطبيعة عنه وانفعالها أعظم من تأثير الأدوية البدنية، وانفعال الطبيعة عنها، وقد جربنا هذا مرارًا نحن وغيرنا، وعقلاء الأطباء معترفون بأن لفعل القوى النفسية، وانفعالاتها في شفاء الأمراض عجائب، وما على الصناعة الطبية أضر من زنادقة القوم، وسفلتهم، وجهالهم، والظاهر: أن صرع هذه المرأة كان من هذا النوع، ويجوز أن يكون من جهة الأرواح، ويكون رسول الله ﷺ قد خيَّرها بين الصبر على ذلك مع الجنة وبين الدعاء لها بالشفاء، فاختارت الصبر والسَّتر، والله أعلم)[٢].

(١) سبق الحديث عن أم زفر رضي الله عنها (ص: ٨٠).

(٢) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٥٤).

وقفة حول أثـــر مجالـس الذكـــر

مجالس الذكر هي رياض الجنة، وفيها الراحـة والـسرور، قـال تعـالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[١].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إن لله تبـارك وتعـالى ملائكـةً سـيارةً، فضلًا يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكرٌ قعـدوا معهـم، وحـف بعضهم بعضًا بأجنحتهم، حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فـإذا تفرقـوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله ﷻ، وهـو أعلـم بهـم: مـن أيـن جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبـادٍ لـك في الأرض، يـسبحونك ويكبرونـك ويهلِّلونك ويحمدونك ويـسألونك، قـال: ومـاذا يـسألوني؟ قـالوا: يـسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنَّتي؟ قالوا: لا، أي رب قال: فكيف لـو رأوا جنَّتـي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيروننني؟ قالوا: من نـارك يـا رب، قـال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا نـاري؟ قـالوا: ويـستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم ممـا اسـتجاروا، قـال: فيقولون: رب فيهم فلانٌ عبدٌ خطَّاءٌ، إنما مر فجلس معهم، قـال: فيقـول: ولـه غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[٢].

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإيـاكم وذكـر الناس فإنه داء»[٣].

وقـال مالـك بـن دينـار ﷺ: «مـا تلـذَّذ المتلـذِّذون بمثـل ذكـر الله

(١) سورة الرعد: (آية ٢٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: فضل مجالس الذكر، رقم ٢٦٨٩، ٤/ ٢٠٦٩.

(٣) الزهد، لأحمد بن حنبل ﷺ (ص ١٠١).

ﷻ، فليس شيء من الأعمال أقلَّ مؤونةً منه، ولا أعظم لذَّة، وأكثر فرحةً وابتهاجاً للقلب»[١].

وقال رجل للحسن البصري ﷺ: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أذِبْهُ من الذِّكر[٢].

وقال ابن القيم ﷺ: صدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار[٣].

وقال ابن الجوزي ﷺ: «قد ثبت في الحكمة أن شفاء الأمراض قصد أسبابها، فمن استشفى بمرضه بغير ذلك فقد أتى البيوت من غير أبوابها، فمن كان داؤه المعصية فشفاؤه الطاعة، ومن كان داؤه الغفلة فشفاؤه اليقظة، ومن كان داؤه كثرة الاشتغال فشفاؤه في تفريغ البال من تفرغ من هموم الدنيا قلبه قلَّ تعبه وتوفَّر من العبادة نصيبه، واتصل إلى الله مسيره، وارتفع في الجنة مصيره، وتمكن من الذكر والفكر والورع والزهد والاحتراس من غوائل النفس ووساوس الشيطان، ومن كثر في الدنيا شغله اسودَّ قلبه، وأظلم طريقه، وكثُر همُّه، ونصب بدنه وصار مهون الوقت، طائش العقل معقود اللسان عن الذكر، مقيَّد الجوارح عن الطاعة من قلبه في كل واد شعبة، ومن عمره لكل شغل حِصَّة، فاستعذ بالله من فضول الأعمال والهموم، فكل ما شغل العبد عن الرب فهو مشؤوم، ومن فاته القرب من مولاه فهو لو جازت يداه نعيم الخلد محروم، كل العافية في الذكر والطاعة، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة، وكل

(١) الوابل الصيِّب لابن القيم (ص ٨١).
(٢) ذم الهوى (ص ٦٩).
(٣) الوابل الصيِّب لابن القيم (ص ٤٣).

شفاء في الإنابة والتوبة»[١].

ومن فوائد مجالسة أهل الذكر إتساع الادراك، قيل للإمام الشافعي رحمه الله: أخبرنا عن العقل، يولد به المرء؟ فقال: لا، ولكنه يلقح من مجالسة الرجال ومناظرة الناس[٢].

وقال عبدالله بن المعتز رحمه الله: (العقل غريزة تربيها التجارب) [٣].

هذا من جهة تنمية العقل وتغذيته بالأمور النافعة شرعاً، ولكن له مدى يصل إليه كما قال الشافعي رحمه الله: إن للعقل حداً ينتهي إليه كما أن للبصر حداً ينتهي إليه[٤].

وقد يضعف العقل مع الغضب كما قال الإمام ابن قدامة رحمه الله من مداخل الشيطان وأبوابه العظيمة: «الغضب، والشهوة، والحِدَّة، فإن الغضب غَوْل العقل، وإذا ضعف جند العقل هجم حينئذ الشيطان فلعب بالإنسان، وقد رُوي أن إبليس يقول: إذا كان العبد حديداً قلَّبناه كما يقلِّب الصبيان الكرة»[٥].

وليس خروج الجن المتلبس بالإنس مقصوراً على الرقية فحسب، بل إن بعض المصابين بتلبس الجن لا يستطيعون المكوث طويلاً في مجالس الذكر وهذا مشاهد في بعض المقاطع أثناء ما يُصرع أحدهم في صلاة التراويح.

---

(١) التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (ص ٥٢).

(٢) حلية الأولياء (٩/ ١٢١).

(٣) الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٤١).

(٤) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص ٢٠٧).

(٥) مختصر مناهج القاصدين (ص ١٤٩).

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٢].

وفي هذا دلالة على بطلان دعوى بعض الرقاة باشتراط النيَّة قبل الرقية، فهذا الشخص الذي صُرع عند قراءة القرآن سواء في صلاة التراويح أو غيرها من الصلوات الجهرية، لم يستحضر الإمام نيَّة الشفاء وغيرها كما ذكر الشيخ الدكتور/ عبدالرحمن السند عن ابتداع طريقة في الرقية حسب رغبة المريض فتكون بنية الإلهام، أو الشفاء، أو الهداية، أو التعذيب، أو الإحراق، أو الإضعاف[٣].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «منزلة الذكر وهي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتَّجرون، وإليها دائماً يترددون.

والذكر منشور الولاية الذي من أُعطيه اتصل ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم، متى تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطَّاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علاَّم الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكرهم ... فنترك الذكر أحياناً فننتكسُ

قال الحسن رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، والذكر،

---

(١) سورة طه: (آية ١٤).

(٢) سورة ق: (آية ٤٥).

(٣) أحكام الرقية الشرعية ص (٨٤).

وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

وبالذكر يصرع العبد الشيطان، كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

قال بعض السلف رحمهم الله: إذا تمكَّن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صُرِع كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسَّه الإنسي.

وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه، والله أعلم»[(١)].

وقال الإمام ابن قدامة رحمه الله: « لا يطرد جند الشيطان من القلب إلا ذكر الله تعالى، فإنه لا قرار له مع الذِّكْر»[(٢)].

ومجالس الذِّكْر تُقرّب من الله عز وجل والطاعة، ولهذا أمر الله نبيه ﷺ بلزوم أهل الخير والصلاح فقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[(٣)]. وكذلك الصلاة. قال ابن القيم رحمه الله: «الصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوِّية للقلب، مبيِّضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدَّة للقوى، شارحة للصدر مغذِّية للروح، منوِّرة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن»[(٤)].

---

(١) مدارج السالكين ص (٥٩٥ - ٥٩٦).

(٢) مناهج القاصدين (ص: ١٤٨).

(٣) سورة الكهف: (آية ٢٨).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٣٠٤).

وقفة حول العين والحسد

تُطلق تسّمية النَّفْس عند بعض الناس على الإصابة بالعين ويقولون: فلان فيه نفس؛ لأن تأثير نفس الحاسد على المحسود إنما يكون بواسطة العين، ويقول البعض الآخر: فلان فيه عين.

قال ابن القيم رحمه الله: «ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيئ فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية»(١).

وقال ابن حجر رحمه الله: «وأن العين تكون مع الإعجاب ولو بغير حسد، ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح، وأن الذي يعجبه الشيئ ينبغي أن يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه»(٢).

والحسد منشؤه من النفس كما وصف الله عز وجل حسد أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾(٣).

قال ابن حزم رحمه الله: «الحرص متولّد عن الطمع والطمع متولّد عن الحسد والحسد متولّد عن الرّغبة والرّغبة متولّده عن الجور الشُّح(٤)

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٥٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٠٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٠٩)

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: البخل والحسد مرض يوجب بغض النفس لما ينفعها، بل وحبها لما يضرها، ولهذا يقرن الحسد بالحقد والغضب، مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣٠)، وقد ورد سؤال لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ما نصه: هل البخل ثمرة من ثمرات الشح؟ الجواب:

والجهل»[١].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «أصول الشر وفروعه ستة: فالأصول الثلاثة: الحسد، والحرص، وحب الدنيا، والفروع كذلك: حب الرياسة، وحب الثناء، وحب الفخر»[٢].

وقال ابن قدامة رحمه الله: «ومن مداخل الشيطان وأبوابه العظيمة: الحسد، والحرص، فمتى كان العبد حريصاً على شيء، أعماه حرصه وأصمَّه وغطَّى نور بصيرته التي يعرف بها مداخل الشيطان»[٣].

وقال ابن سيرين رحمه الله: «ومن الحسد يتولَّد الحقد، والحقد أصل الشر، ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتاً مرًّا مذاقه نماؤه الغيظ، وثمرته الندم»[٤].

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: (الغلّ هو الحسد، فما خرج منه فهو الشَّرّ، وما

الشح أشد، فالشح معناه: البخل بالموجود، والحرص على المفقود، فالشحيح حريص على طلب الزيادة وبخيل بما عنده (موقع الشيخ ابن باز)، وقال ابن القيم رحمه الله: الجبن والبخل قرينان. انظر: (ص ٤٨)، قلت: والخوف يصدر من الشح، قال السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ الأحزاب: ١٩، بأبدانهم عند القتال، وبأموالهم عند النفقة فيه، فلا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ من شدة الجبن الذي خلع قلوبهم والقلق الذي أذهلهم، وخوفاً من إجبارهم على ما يكرهون من القتال. (تفسير الكريم الرحمن ٦٦٠)، وضد الجبن والبخل الكرم والشجاعة، وهما قرينان، كذلك كان النبي ﷺ أكرم الناس وأشجع الناس.

(١) مداواة النفوس (ص ١٠٩).

(٢) العقد الفريد (٢/ ١٧٣).

(٣) مختصر مناهج القاصدين (ص: ١٤٨).

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص١٣٤).

بقي منه فهو الغلّ، وليس يسلم أحد أن يكون فيه شيء من الحسد)[١].

ولذا امتنَّ الله ﷻ على أهل الجنة في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[٢].

قال السعدي ﵀: (ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم، فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض لأنه قد فُقدت أسبابه)[٣].

وقال الحسن البصري ﵀: «يا ابن آدم لِمَ تحسد أخاك، فإن الذي أعطاه الله لكرامته عليك، فلمَ تحسد من أكرمه الله تعالى، وإن يكن غير ذلك فلا ينبغي لك أن تحسد من مصيره النار[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «(الحسد) مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس، ولهذا يقال: (ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه)، وقد قيل للحسن البصري: أيَحْسُد المؤمن؟ فقال: ما أنساك أخوة يوسف لا أبا لك، ولكن عِمْهُ في صدرك، فإنه لا يضرك ما لم تعدَّ به يداً ولساناً...

ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله بتقواه، كما جرى لزينب بنت جحش ﵂ فإنها كانت هي التي تُسامي عائشة من أزواج النبي ﷺ، وحسد النساء بعضهم لبعض كثير غالب لا سيما المتزوجات

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٢٨٤).

(٢) سورة الحجر، الآية (٤٧).

(٣) تفسير السعدي، تفسير الكريم الرحمن (ص ٢٨٩).

(٤) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ١٧٩).

بزوج واحد، فإن المرأة تغار على زوجها لحظِّها منه، فإنه بسبب المشاركة يفوت بعض حظها.

وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين في رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر[١].

والكِبْر والحسد قرينان قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٢] عن مالك أنه قال: بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكِبْر، حسد إبليس آدم، وشح آدم في أكله من الشجرة[٣].

ويظهر الكِبْر من صاحبه على أثر نقص يجده في نفسه، فقد يصدر منه الحسد على غيره بقدر ذلك النقص.

كما قال ابن القيم رحمه الله: «وللحسد حد، وهو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همّة وصِغَرُ نفس، قال النبي ﷺ: (**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**)[٤] فهذا حسد منافسة يطالب الحاسد به نفسه أن يكون مثل

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٣٤).

(٣) تفسير القرطبي (الجزء الأول ص ٢٩٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، رقم ٧٣، ١/ ٢٥، ومسلم، كتاب: صلاة المسافر وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره، فيعمل بها ويعلمها، رقم ٨١٦، ١/ ٥٥٩.

المحسود، لا حسد مهانة يتمنى به زوال النعمة عن المحسود»[١].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «ما وجد أحد في نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها في نفسه»[٢].

وقال أبو موسى عمران بن موسى المؤدب: «قرأت في بعض الكتب، ما رأيت أحداً قط، تكبّر على من دونه، إلا وبذلك المقدار يجود بالذلّه لمن فوقه»[٣].

وقال ابن القيم ﷺ: «الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء للشيطان لأن الحاسد شبيه بإبليس وهو في الحقيقة من أتباعه لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم الله عنهم كما أن إبليس حسد آدم عليه السلام لشرفه وفضله وأبى أن يسجد له فالحاسد من جند إبليس»[٤].

وقال عبد الله ابن المعتزّ ﷺ: «من كثر مزاحه لم يخل من استخفافٍ به، أو حقدٍ عليه»[٥].

وروي عن الأحنف بن قيس ﷺ أنه قال: («لا راحة لحسود، ولا وفاء لبخيل، ولا صديق لملول، ولا مروءة لكذوب، ولا رأي لخائن، ولا سؤدد لسيّء الخلق». وقال بعض الحكماء: ما رأيت ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد)[٦].

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٢٠٣).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب (ص ٣٧١).

(٣) مساوئ الأخلاق للخرائطي (ص ٢٦٣).

(٤) بدائع الفوائد (٢/ ٧٥٨).

(٥) الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٤٢).

(٦) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، للسمرقندي (ص١٧٩).

ويقول ابن القيم رحمه الله: (وتأثيرات النفوس بعضها في بعض أمر لا ينكره ذو حس سليم، ولا عقل مستقيم، ولا سيما عند تجردها نوع تجرد عن العلائق والعوائق البدنية فإن قواها تتضاعف وتتزايد بحسب ذلك ولا سيما عند مخالفة هواها وحملها على الأخلاق العالية من العفة والشجاعة والعدل والسخاء وتجنبها سفساف الأخلاق ورذائلها وسافلها فإن تأثيرها في العالَم يقوى جداً، تأثيراً يعجز عنه البدن، وأعراضه أن تنظر إلى حجر عظيم فتشقه أو حيوان كبير فتتلفه أو إلى نعمة فتزيلها. وهذا أمرٌ قد شاهدته الأمم على اختلاف أجناسها وأديانها وهو الذي سُمِّي إصابة العين فيضيفون الأثر إلى العين وليس لها في الحقيقة وإنما هو النفس المتكيِّفة بكيفيَّة رديَّة سُميَّة وقد تكون بواسطة نظر العين وقد لا تكون بل يوصف له الشيء من بعيد فتتكيَّف عليه نفسه بتلك الكيفيَّة فتفسده، وأنت ترى تأثير النفس في الأجسام صُفرة وحُمرة وارتعاشا بمجرد مقابلتها لها وقوتها وهذه وأضعافها آثار خارجة عن تأثير البدن وأعراضه فإن البدن لا يؤثر إلا فيما لاقاه وماسَّه تأثيراً مخصوصًا، ولم تزل الأمم تشهد تأثير الهمم الفعالة في العالم وتستعين بها وتحذر أثرها وقد أمر رسول الله أن يغسل العائن مغابنه ومواضع القذر منه ثم يصب ذلك الماء على المعين فإنه يزيل عنه تأثير نفسه فيه وذلك بسبب أمر طبعي اقتضته حكمة الله سبحانه) [1].

فكما أن للعين آثارها العضوية على الإنسان، كذلك لها آثارها النفسية ولهذا أمرنا الله عز وجل أن نتعوذ من شرها وشر صاحبها كما قال تعالى:

(١) الروح (ص:٢٦٢).

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[١]. ولهذا يُشرع للمسلم أن يقرؤها في أوراده صباحاً ومساءً.

قال ابن القيم ﷺ: (وقد دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود. فنفس حسده شر متصل بالمحسود من نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه. فإن الله تعالى قال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فحقق الشر منه عند صدور الحسد. والقرآن ليس فيه لفظة مهملة.

ومعلوم أن الحاسد لا يسمَّى حاسدا إلا إذا قام به الحسد، كالضارب، والشاتم، والقاتل ونحو ذلك. ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود، لاهٍ عنه، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعث نار الحسد من قلبه إليه، وتوجهت إليه سهام الحسد من قلبه. فيتأذى المحسود بمجرد ذلك. فإن لم يستعذ بالله ويتحصن به، ويكون له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله والإقبال عليه، بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على الله، وإلا ناله شر الحاسد ولا بد.

فقوله تعالى: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ بيان لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل)[٢].

وقال ﷺ في موضع آخر: (والعائن والحاسد يشتركان في شيء، ويفترقان في شيء. فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيَّف نفسه، وتتوجه نحو من يريد أذاه.

---

(١) سورة الفلق: (آية ٥).

(٢) التفسير القيم، تفسير القرآن الكريم لابن القيم: (ص ٥٤٩)، الناشر: دار الهيثم، القاهرة، عام ١٤٢٦ هـ .

فالعائن: تتكيَّف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته.

والحاسد: يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضاً.

ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده، من جماد أو حيوان، أو زرع أو مال، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه، وربما أصابت عينه نفسه، فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق، مع تكيُّف نفسه بتلك الكيفيَّة: تؤثر في المعين.

وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [(١)]. إنه الإصابة بالعين، أرادوا أن يصيبوا بها النبي ﷺ. فنظر إليه قوم من العائنين، وقالوا: ما رأينا مثله، ولا مثل حجته، وكان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينة فيعينها، ثم يقول لخادمه: خذ المكتل والدرهم وائتنا بشيء من لحمها. فما تبرح حتى تقع، فتنحر [(٢)].

وقال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل، ثم يرفع جانب خبائه، فتمر به الإبل، فيقول: لم أرَ كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط منها طائفة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، ويفعل به كفعله في غيره، فعصم الله رسوله ﷺ وحفظه وأنزل عليه: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ هذا قول طائفة.

---

(١) سورة القلم: (آية ٥١).

(٢) قلت: وهذا من أعظم الظلم والعدوان؛ لأن الشرع شرع علاجاً ناجعاً لدفع أذى العائن وشره.

وقالت طائفة أخرى، منهم ابن قتيبة: ليس المراد: أنهم يصيبونك بالعين، كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد: أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يُسقطك. قال الزجاج: يعني من شدة العداوة يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك. وهذا مستعمل في الكلام، يقول القائل: نظر إليَّ نظراً كاد يصرعني.

قال: ويدل على صحة هذا المعنى: أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن، وهم كانوا يكرهون ذلك أشدَّ الكراهية، فيُحدُّون إليه النظر بالبغضاء.

قلت[١]: النظر الذي يؤثر في المنظور: قد يكون سببه شدة العداوة والحسد فيؤثر نظره، كما تؤثر نفسه بالحسد، ويقوى تأثير النفس عند المقابلة، فإن العدو إذا غاب عن عدوه فقد يشغل نفسه عنه. فإذا عاينه قُبُلاً اجتمعت الهمَّة عليه، وتوجهت النفس بكليتها إليه، فيتأثر بنظره، حتى إن من الناس من يسقط، ومنهم من يُحَمُّ، ومنهم من يحمل إلى بيته. وقد شاهد الناس من ذلك كثيرا) [٢].

وقال حاتم الأصم رحمه الله: «رأيت الناس يتحاسدون فنظرت في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٣] فتركت الحسد لأنه اعتراض على قسمة الله»[٤].

---

(١) لا يزال الكلام لابن القيم رحمه الله.

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣١، ٢٣٢).

(٣) سورة الزخرف، الآية (٣٢).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٨).

والحسد هو مرض قلبي قائم على عدم الرضا بقضاء الله وقدره.

ودليل ذلك ما جاء عن أبي أمامة بن سهل بن حنيفٍ، قال: (**مرَّ عامر بن ربيعة بسهل بن حنيفٍ، وهو يغتسل فقال: لم أرَ كاليوم، ولا جلد مخبأةٍ فما لبث أن لُبِطَ به، فأتي به النبي ﷺ فقيل له: أدرك سهلًا صريعًا، قال «من تتهمون به» قالوا عامر بن ربيعة، قال: «علامَ يقتل أحدكم أخاه؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه، فليدع له بالبركة» ثم دعا بماءٍ، فأمر عامرًا أن يتوضأ، فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، وركبتيه وداخلة إزاره، وأمره أن يصب عليه قال سفيان: قال معمرٌ، عن الزهري: وأمره أن يكفأ**[١] **الإناء من خلفه**) [٢].

وفي رواية قال عامر بن ربيعة: (**فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فجاء يمشي فخاض الماء كأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فضرب صدره بيده ثم قال: «اللهم أذهب عنه حرها وبردها ووصبها». قال: فقام**) [٣].

وقد ذكر فضيلة الشيخ عبد المحسن بن قاسم إمام وخطيب المسجد النبوي في كتابه «خطوات إلى السعادة» كلاماً نفيساً عن الحسد: فقال: «الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالباً يقع بين النظراء، لكراهة أحدهما، أو لفضل الآخر عليه، وهو من أعظم مداخل الشيطان،

---

(١) أي: صبه خلفه من على رأسه، طرح التثريب في شرح التقريب (٨ / ٢٠٠).

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ١١٦٠، صححه الألباني برقم ٤٤٨٧، وأحمد ١٦٠٢٣، والنسائي في السنن الكبرى (٧٦١٩) باختلاف يسير.

(٣) الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني (٦ / ١٤٨).

وهو خصلة ذميمة من خصال اليهود، قال جل وعلا: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[(١)] وهو نار محرقة من بُلي به فهو في عذاب الله، يقول الشاعر:

لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله

وقد قيل: أول ذنب عصي الله به ثلاثة: الحرص، والكِبْر، والحسد، فالحرص من آدم، والكِبْر من إبليس، والحسد من قابيل حيث قتل أخاه هابيل.

والحسد نوع من معاداة الله، فالحاسد يكره نعمة الله على عبده، وقد أحبها الله وأحب زوالها عنه، والله يكره ذلك فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكراهيته، وهو منافٍ للآخرة في الدين، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً»[(٢)].

والحاسد كارِه فضل الله على عباده، مبغوض في الخلق، محب للذات، كارِه لنفع الآخرين.

قال معاوية بن أبي سفيان ﷺ: «كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها».

وقال ابن القيم ﷺ: «الحاسد عدو نعمه - أي نعم الله - وعدو عباده،

---

(١) سورة النساء: ٥٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلاة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره برقم (٢٥٦٤) ٤/ ١٩٨٦.

وممقوت عند الله وعند الناس، ولا يسود أبداً، ولا يواسَى، فإن الناس لا يسوِّدون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم»[١].

والفاضل لا يكون حسوداً، ولا يحسد إلا المفضول، والله ﷻ قد ينعم على المحسود بالنعمة التي حسد عليها أو يزيد.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «بغضه لنعمة الله على عبده مرض، فإن تلك النعمة قد تعود على المحسود وأعظم منها، وقد يحصل نظير تلك النعمة لنظير ذلك المحسود»[٢].

ومن وجد في قلبه حسداً لغيره فليجاهد نفسه باستعمال التقوى والصبر، قال رجاء بن حيوة: «ما أكثر عبد ذكر الموت إلا ترك الحسد والفرح»، فعليك بالسعي في إزالة الحسد من قلبك، والإحسان إلى المحسود بإكرامه، والدعاء له، ونشر فضائله، واعلُ بنفسك إلى إزالة ما وجدت عليه في نفسك من الحسد حتى تصل إلى مرتبة تتمنى فيها أن يكون أخوك المسلم خيراً منك وأفضل. قال ابن رجب: «وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٣].

والمحسود مظلوم مأمور بالصبر والتقوى فليصبر على أذى الحاسد وليعف وليصفح عنه فالرفعة له.

قال ابن القيم ﷺ: «من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها،

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٤٦٢.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١١٢)

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٦٣).

ولا يوفق لها إلا من عظم حظه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذىً وشراً وبغياً وحسداً، ازددت إليه إحساناً وله نصيحة وعليه شفقة»[(١)(٢)] ا.هـ

وقال أبو حاتم ﷺ : «بئس الشعار للمرء الحسد؛ لأنه يورث الكمد ويورث الحزن وهو داء لا شفاء له، والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بُهت وإن رأى به عثرة شمت، ودليل ما في قلبه كمين على وجهه مبين وما رأيت حاسداً سالم أحدا.

والحسد داعية إلى النكد؛ ألا ترى إبليس حسد آدم فكان حسده نكدا على نفسه فصار لعينا بعدما كان مكينا ويسهل على المرء ترضي كل ساخط في الدينا حتى يرضى إلا الحسود فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها»[(٣)].

وإن من رحمة الله -ﷻ- بعباده أن شرع لهم أسباباً تقيهم -بإذن الله- من الشرور، سواء أكان مصدرها من الجن أو من الإنس، وقد تتبَّع الإمام ابن القيم ﷺ الأسباب التي تندفع بها الشرور بأنواعها البدنية أو النفسية، وقد أوصلها إلى عشرة أسباب، وهي على النحو التالي:

«**السَّبب الأول**: التعوُّذ بالله من شَرِّه والتَّحصُّنُ به واللَّجأ إليه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٦٨).

(٢) انظر :خطوات إلى السعادة ص ١٨٣ - ١٨٦.

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ١٣٧).

﴿٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾.

والله تعالى سميعٌ لِمَن استعاذ به، عليمٌ بما يستعيذ منه، قادرٌ على كلِّ شيء، وهو وحده المستعاذ به، لا يُستعاذ بأحد من خلقه، ولا يُلجأُ إلى أحد سواه، بل هو الذي يعيذ المستعيذين ويَعصمُهم ويَحميهم مِن شَرِّ ما استعاذوا من شَرِّه.

وحقيقةُ الاستعاذة الهروبُ من شيء تَخافُه إلى من يَعصمُك ويَحميك منه، ولا حافظَ للعبد ولا معيذَ له إلاَّ الله، وهو سبحانه حَسْبُ من توكَّلَ عليه، وكافي من لَجَأَ إليه، وهو الذي يؤمِّنُ خوفَ الخائف ويُجيرُ المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

السبب الثاني: تقوى الله وحفظُه عند أمره ونَهيه، فمَن اتَّقى اللهَ تولَّى حفظَه ولَم يَكلْه إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، وقال النَّبِيُّ ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «احفظ اللهَ يَحفظْكَ، احفظ الله تَجده تجاهَك»[1]؛ فمَن حفظ اللهَ حفظه الله، ووجدَه أمامَه أينما توجَّه، ومَن كان اللهُ حافظَه وأمامَه فمِمَّن يخاف ومِمَّن يحذر.

السبب الثالث: الصَّبرُ على عدوِّه وأن لا يقاتلَه ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً، فما نُصرَ على حاسده وعدوِّه بمثل الصَّبر عليه، وكلَّما زاد

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، (٤/ ٦٦٧)، رقم (٢٥١٦)، وصححه الألباني.

بغيُ الحاسد كان بغيُه جنداً وقوةً للمبغي عليه، يقاتل بها الباغي نفسه وهو لا يشعر، فبغيُه سهمٌ يرميها من نفسه إلى نفسه ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾؛ فإذا صبرَ المحسودُ ولم يستطل الأمرَ نال حُسنَ العاقبة بإذن الله.

السبب الرابع: التوكُّل على الله، فمَن يتَوكَّل على الله فهو حَسبه، والتوكُّلُ من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبدُ ما لا يطيقُ من أذى الخَلْق وظُلمهم وعدوانهم، ومَن كان الله كافيه فلا مطمَعَ فيه لعدوٍّ، ولو توكَّل العبدُ على الله حقَّ توكُّله، وكادته السموات والأرضُ ومَن فيهنَّ لجَعلَ له مخرجاً من ذلك وكفاه ونَصرَه.

السبب الخامس: فراغُ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصدَ أن يَمحوه من باله كلَّما خَطر له، فلا يلتفتُ إليه، ولا يخافُه، ولا يملأ قلبَه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعِينة على اندفاع شرِّه، فإنَّ هذا بمنْزلة من يَطلبه عدوُّه ليمسكَه ويؤذيه، فإذا لَم يتعرَّض له ولا تَماسَك هو وإياه، بل انعزل عنه لَم يقدر عليه، فإذا تَماسكَا وتعلَّق كلٌّ منهما بصاحبه حصل الشَّرُّ، وهكذا الأرواحُ سواء، فإذا تعلَّقت كلُّ روح منهما بالأخرى عُدِمَ القرارُ ودام الشَّرُّ حتى يهلك أحدُهما، فإذا جبذ روحَه عنه وصانَها عن الفكر فيه والتعلُّق به، وأخذ يشغل بالَه بما هو أنفعُ له بقي الحاسدُ الباغي يأكلُ بعضُه بعضاً، فإنَّ الحسدَ كالنار، إذا لَم تَجد ما تأكله أكلَ بعضُها بعضاً.

السبب السادس: الإقبالُ على الله والإخلاصُ له وجعلُ محبته ونيلِ رضاه والإنابةِ إليه في كلِّ خواطر نفسه وأمانيها، تدبُّ فيها دبيب تلك الخواطر شيئاً فشيئاً حتى يقهرَها ويغمرها ويذهبها بالكليَّة، فتبقى خواطرُه وهواجسه وأمانيه كلُّها في محابِّ الرَّب والتقرُّب إليه وذكره والثناء عليه، قال تعالى عن عدوه إبليس أنَّه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، فالمخلص بمثابة مَن آوى إلى حصن حصين، لا خوفَ على مَن تَحصَّن به، ولا ضَيعَة على مَن آوى إليه، ولا مَطمَعَ للعدوِّ في الدُّنُوِّ منه.

السبب السابع: تَجريدُ التوبة إلى الله من الذنوب التِي سلطت عليه أعداءه، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾؛ فما سُلِّطَ على العبد مَن يؤذيه إلاَّ بذنب، يَعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبدُ من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مِمَّا عَلِمَه وعَمله أضعاف ما يذكره، وفي الدعاء المشهور: (**اللَّهمَّ إنِّي أعوذ بك أن أُشرك بكَ وأنا أعْلَمُ وأستغفِرُكَ لما لا أعْلَم**)[1]، فما يحتاج العبدُ إلى الاستغفار منه مِمَّا لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يَعلمه، فما سُلِّطَ عليه مُؤْذٍ إلاَّ بذنب، وليس في الوجود شَرٌّ إلاَّ الذنوب وموجباتها، فإذا عُوفِي من الذنوب عُوفِي من موجباتها، فليس للعبد إذا بُغي عليه وأوذي وتسلَّط عليه خصومُه شيءٌ أنفعَ له من التوبة النصوح من الذنوب التي كانت سبباً لتسلُّط عدوِّه عليه.

---

(١) الأدب المفرد للبخاري، باب: فضل الدعاء رقم (٧١٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص ٢٦٦).

السبب الثامن: الصَّدقة والإحسان ما أمكنه؛ فإنَّ لذلك تـأثيراً عجيبـاً في دفع البلاء ودفع العين وشَرِّ الحاسد، فـما يكـاد العـينُ والحـسدُ والأذى يتسلَّط على محسن مُتصدِّق[١]، وإن أصابه شيءٌ من ذلك كـان معـامَلاً فيـه باللُّطف والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبةُ الحميدة، والصدقة والإحـسانُ من شكر النعمة، والشُّكرُ حارسُ النعمة من كلِّ ما يكون سبباً لزوالها.

السبب التاسع: أن يطفئَ نارَ الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلَّما ازداد أذى وشرًّا وبغياً وحسداً ازددتَ إليه إحساناً وله نصيحةً وعليه شفقةً، قال الله تعـالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، وتأمَّل في ذلك حالَ النَّبِيِّ عليـه الـسلام الـذي حكى عنه نبينا ﷺ أنَّه ضربه قومُه حتـى أدمـوه فجعـل يـسلت الـدَّم عنـه ويقول: «اللَّهمَّ اغفر لقومي فإنَّهم لا يعملون»[٢].

السبب العاشر: تجريدُ التوحيد والترحل بالفكر في الأسـباب إلى المـسبِّب العزيز الحكيم، والعلم بأنَّ كلَّ شيء لا يَضُرُّ ولا ينفع إلاَّ بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، وقال النَّبِيّ ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «واعْلم أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعوا على أن ينفعوك لَم ينفعوك إلاَّ بشيء كتبه الله لَكَ، ولو اجتمعوا عـلى

---

(١) قلت: وهذه بشارة عاجلة في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء رقم (٣٤٧٧)، ومسلم، كتاب: الجهاد والسير رقم (١٧٩٢).

أن يَضُرُّوك لَمَ يَضُرُّوك إلاَّ بشيء كتبه الله عليك»[١]، فإذا جرَّد العبدُ التوحيدَ فقد خَرَجَ من قلبه خوفُ ما سواه، وكان عدوُّه أهونَ عليه من أن يَخافه مع الله، بل يُفرِدُ اللهَ بالمخافة، ويَرى أنَّ إعمالَه فكره في أمر عدوِّه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جَرَّد توحيدَه لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولَّى حفظَه والدفعَ عنه، فإنَّ الله يدافعُ عن الذين آمنوا، فإن كان مؤمناً فالله يدافع عنه ولا بدَّ، وبحسب إيمانه يكون دفاعُ الله عنه، فإن كمُلَ إيمانُه كان دفاعُ الله عنه أتَمَّ دفع، وإن مزج مزج له، وإن كان مرَّة ومرة فالله له مرَّة ومرَّة، كما قال بعض السلف: (مَن أقبلَ على الله بكليَّتِه أقبلَ الله عليه جُملة، ومَن أعرَضَ عن الله بكليَّته أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرَّة ومرَّة فالله له مرَّة مرة).

فالتوحيدُ حصنُ الله الأعظم الذي مَن دخلَه كان من الآمنين، قال بعض السلف: (**مَن خاف اللهَ خافه كلُّ شيء، ومن لَمَ يَخَفِ الله أخافه اللهُ من كلِّ شيء**).

فهذه عشرةُ أسباب عظيمة يندفعُ بها شَرُّ الحاسد والعائن والسَّاحر بإذن الله تعالى، ونسأل الله الكريم أن يقيَنا والمسلمين من الشُّرور كلِّها إنَّه سميع مجيب) انتهى كلام الإمام ابن القيم رحمه الله»[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٥١٦، وصححه الألباني.

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٨ - ٢٤١).

وقفة حول أثر إصابة العين

لو افترضنا جدلاً: بأن لاعب كرة قدم متميّز وشهير أصابته عين من أحد الجماهير وهو يجري في الملعب فوقع على الأرض أو اصطدم بلاعب آخر وأصيبت قدمه اليمنى بكسر مضاعف ونُقل إلى المستشفى وأجريت له عملية جراحية، واستمر على الرقية بعدها حتى لا تتضاعف الإصابة وتتطوّر حالته المرضية فتصبح إعاقة إلى أن تماثل بالشفاء بعد فترة من الزمن بإذن الله، ثم عاد إلى ممارسة الرياضة مرة أخرى.

أعتقد أن مستواه الاحترافي لن يعود إلى ما كان عليه في السابق بسبب هذه الإصابة البليغة والله أعلم.

وكذلك ضياع شهرة هذا اللاعب حال ضعف مستواه الرياضي تنعكس سلباً على النفس يوماً بعد يوم إلى أن تتزامن مع الاضطرابات النفسية، وتتظاهر بآلام جسدية متنقلة، وهذا ما يسمَّى في علم النفس بالاضطرابات النفس جسدية[١]، كانتقال الآلام من القدم اليمنى المصابة بالكسر سابقاً عند هذا اللاعب إلى القدم اليسرى السليمة، أو الشعور بآلام في أي عضو آخر دون سبب طبي واضح .

كذلك أثر الإصابة بالعين حينما تشترك مع الاضطرابات النفسية وتترك بعض الأعراض على المريض وتظهر بصورة أمراض نفسية حتى بعد الرقية.

فإحساس المريض في مثل هذه الحالة بانتقال الألم من موضع إلى آخر في

(١) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص١١٠)

سائر البدن، ليس من أثر إصابة العين مباشرة كما يتصوّره كثير من الناس، لكنها أعراض مصاحبة نتيجة القلق أو الاكتئاب[١] الذي ظهر على المريض على أثر إصابته بالعين بعد فترة تزيد أو تقل عن شهرين أو ثلاثة والله أعلم.

كما أن بعض الرقاة اختلفوا في بعض القرائن التي تدل على إصابة المريض بالعين حينما تظهر بعضها على المريض في أثناء الرقية .

فبعض الرقاة يقول للمريض: تصوّر العائن في أثناء الرقية فإذا ظهر لك خذ من أثره؟[٢]

وآخر يقول للمريض: سوف ترى العائن في النوم بعد الرقية؟

وراقٍ آخر يقول: إن المريض يشعر بحرارة في بعض أعضاء جسمه في أثناء الرقية.

وآخر يؤكد على إصابة المريض بالعين حينما يبكي في أثناء الرقية.

وآخر يستدل على إصابة المريض بالعين حينما تتنقل الآلام من عضو في الجسم إلى عضو آخر في أثناء الرقية.

وآخر يقول: إذا نام المقروء عليه في أثناء الرقية.

وآخر يقول: إن الصداع يشتدُّ على المريض في أثناء الرقية.

وآخر يقول: إن العين تبدو بشكل واضح حينما يتثاءب المريض في أثناء الرقية.

وأما بعض هذه القرائن فلا تجوز؛ مثل القراءة التصوّرية، والجزم

---

(١) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٩٤).

(٢) دعوى تصور العائن في اليقظة أو النوم دعوى باطلة وغير صحيحة، سيأتي الكلام عليها ص١٤٨.

بتصوُّر العائن في أثناء الرقية، فربما هذه الطريقة تُعزِّز الوهم لدى المريض على خلاف هدي النبي ﷺ: «**ويعجبني الفأل**»[١].

وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رداً على سؤال عن مدى صحة تخيّل المريض للعائن من جراء القراءة أو طلب الراقي من القرين أن يخيّل للمريض من أصابه بالعين.

الجواب: تخيُّل المريض للعائن في أثناء القراءة عليه، وأمر القارئ له بذلك هو عمل شيطاني لا يجوز؛ لأنه استعانة بالشياطين، فهي التي تتخيل له في صورة الإنسي الذي أصابه، وهذا عمل محرم؛ لأنه استعانة بالشياطين، ولأنه يسبب العداوة بين الناس، ويسبب نشر الخوف والرعب بين الناس، فيدخل في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[٢][٣].

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان	عبدالعزيز آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

وكذا الجزم برؤية العائن في النوم بعد الرقية[٤]، فقد يتلبَّس الشيطان للمريض وهو نائم بصورة شخص يعرفه حتى يوقع بينهما العداوة والبغضاء، فخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وما كان عليه سلف الأمة.

فالتهمة على نوعين :

١- تهمة عليها دليل؛ كالعائن حينما يصف المعيون بكلمة إعجاب ونحوها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: الطب، باب الفأل، حديث رقم ٥٦٥٦ (٧/ ١٣٥)، ومسلم في صحيحه، باب الطيرة والفأل، حديث رقم ١١١ (٤/ ١٧٤٦).

(٢) سورة الجن: ٦.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ص ٩٠.

(٤) انظر: (ص ٥٦).

فيعتلّ في ساعته على إثرها، كما حصل للصحابي سهل بن حنيف حينما وصفه عامر بن ربيعة رضي الله عنهما[١].

٢- تهمة ليس عليها دليل فيكتفي المعيون بالرقية الشرعية و الإكثار من قراءة القرآن والأدعية المأثورة من الكتاب والسنة والمحافظة على فعل الخيرات وإقامة الصلاة.

أما البعض الآخر من القرائن فإنها تتشابه إلى حدٍّ كبير مع أعراض الاكتئاب والأعراض النفس جسدية[٢] كآلام الرأس والرقبة وأسفل الظهر واضطراب القولون العصبي وغيرها من الأعراض العضوية.

أما بالنسبة لاضطراب القولون العصبي الحاد الذي يستجيب غالباً لحالات الاكتئاب المزمنة، فقد ينتاب المريض النفسي في أثناء الرقية نوبة ذعر أحياناً مع ضيق في التنفس[٣] بالإضافة إلى محاولة التقيُّؤ دون جدوى.

فعلى الراقي المعالج في مثل هذه الحالات المشتبهة الاطلاع على ماضي المستفيد، فربما يعاني من اضطراب نفسي.

وأما بالنسبة للصداع المستمر الذي لا يزول إلا بزوال العِلَّة التي بالجسد فيُعدُّ هذا أمراً طبيعياً، كما جاء عن النبي ﷺ: « **ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوًا تداعى له سائر**

---

(١) انظر: ص ١٠٣.

(٢) كما قال ابن القيم رحمه الله: «فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمرٌ مشهود»، زاد المعاد، لابن القيم (٤/ ٢٠٦).

(٣) انظر الرسم في كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٦٧).

جسده بالسهر والحُمَّى »[١].

وقد ذكر العلامة ابن القيم ﷺ عدَّة أسباب لآلام الرأس والصداع (الشقيقة) منها ما يلي:

١- ما يحدث من الأعراض النفسانية، كالهموم، والغموم، والأحزان، والوساوس، والأفكار الرَّديئة.

٢- ما يحدث من السهر وعدم النوم.

٣- ما يحدث من كثرة الكلام، فتضعف قوة الدماغ لأجله.

٤- ما يحدث من ضغط الرأس وحمل الشيء الثقيل عليه.

٥- ما يحدث من كثرة الحركة والرياضة المفرطة.

٦- صُداع يحصل عن امتلاء المعدة من الطعام، ثم ينحدر ويبقى بعضه نيئاً، فيصّدع الرأس ويثقله.

٧- ما يحدث بسبب الحمَّى لاشتعال حرارتها فيه فيتألم، والله أعلم)[٢].

فعن عبيد الله بن علي بن أبي رافع، عن جدته سلمى خادم رسول الله ﷺ قَالَتْ: «**ما كان أحدٌ يشتكي إلى رسول الله ﷺ: وجعًا في رأسه إلا قال: احتجم، ولا وجعًا في رجليه، إلا قال اخضبهما**»[٣]، وفي رواية: «**اخضبهما بالحناء**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، ٨/ ١٠ برقم ٦٠١١.

(٢) زاد المعاد (ص ٧٤٩)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ

(٣) حسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم ٣٤٦١.

(٤) أخرجه البخاري، من حديث سلمى، برقم ٢٧٦١٦ (٤٥/ ٥٩٠)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب: الطب، رقم ٧٤٥٩، صحيح الإسناد.

أما شعور بعض المراجعين بحرارة في سائر أجسامهم أو بعضها في أثناء الرقية، فهذا ملاحظ على الكثير من المراجعين وكذلك إحساس بعض المراجعين بالبرودة، لكنها أقل بكثير من إحساس بعضهم بالحرارة، فمن المراجعين من يشعر بحرارة من أكتافه إلى ساعديه أو في أسفل قدميه ومنهم من يشعر بحرارة في كامل جسمه وكذلك البرودة كما جاء في الحديث (**اللهم أذهب عنه حرها وبردها ووصبها**)[١].

وقد لاحظت أيضاً على بعض المراجعين في أثناء الرقية بكاءً شديداً ويصاحبه أحياناً تعرُّق في البدن أو رعشة في أحد الأعضاء أو في سائر الجسم، أو دوخة، أو آلام شديدة في سائر الجسم أو أحد أعضاءه، أو رجفه أو صعوبة في التنفس، أو الشعور بوخز إِبَر في الرأس أو أحد الأعضاء أو ألم أو ثقل أو دوران في الرأس، أو الشعور بغصّة في الحلق، أو الشعور بغازات في البطن، أو الشعور بغثيان، أو التواء في الرقبة أو أحد الأعضاء، أو تصلّب في اليدين أو الرجلين أو أحد الأعضاء، أو الشعور بشيء من لمس الكهرباء في إحدى اليدين أو كلاهما أو أحد الأعضاء أو تنْميل في سائر الجسم أو بعض الأعضاء مع صعوبة القيام وتعب عام بعد الرقية، وكذا إحساس أحدهم بأن حملاً ثقيلاً جثى على صدره، أو نبض في الكفين، أو بعض أعضاء الجسم، وكذلك تصلُّب في اليدين أو الرجلين، أو تجشؤ في أثناء الرقية، أو خفقان في القلب أو الشعور بآلام في الصدر، أو نعاس، أو نوم، أو إغماء لطيف في أثناء الرقية أو كحة[٢] دون سبب طبي ظاهر

---

(١) سبق تخريجه: ص ١٠٣.

(٢) وكذلك أثر الكحة نتيجة الخوف دون سبب طبي ظاهر، انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٧٤).

قبل الرقية.

وكذلك ظهور طفح جلدي دون سبب طبي ظاهر قبل الرقية.

وكذلك شعور بعض المراجعين في أثناء الرقية بصعوبة في التنفس وكأن أحداً يخنقه إلى أن تنهار قواه فيضطر إلى الجلوس غالباً فترة يسيرة بعد الرقية لا تتجاوز مدتها عشرين دقيقة، وقد يصاحب بعض هذه القرائن شيء من الخوف.

أما بالنسبة لتثاؤب المراجع في أثناء الرقية فيحتمل والله أعلم بأن المستفيد يعاني من أرق أو نحوه.

وفي نظري بأن هذه الأعراض الظاهرة التي ذكرت، قد يكون فيها دلالة على أثر الإصابة بالعين -والله أعلم- بحسب تأثيرها على حياة الإنسان، أما بالنسبة لغيرها من الأعراض الخفية التي لم أتطرق لها فتظل مجهولة لا يعلمها إلا الله ﷻ.

وقد لا حظت التحسن ولله الحمد على بعض المراجعين بعد عدّة جلسات يسيره.

كما قال الشيخ السعدي ﷺ: «على قدر تكرارك للرقية الشرعية يكون فتكك بالشياطين وطردك لسموم الحسد»[١].

وقد لفت انتباهي مقولة متواترة من بعض المراجعين نحو عبارة (حياتي متعطلة) حينما يشكو أحدهم ممن يطلبون الرقية خشية الإصابة بالعين دون أن تظهر عليهم في أثناء الرقية بعض القرائن التي ذكرت، قال -تعالى-: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ

(١) علم العقائد والتوحيد (ص ٤٧).

﴿بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، عن النبي ﷺ أنه قال: (العينُ حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا)[٢].

قال ابن عبد البرِّ رحمه الله: «وفي قوله (لو سبق شيء القدر لسبقته العين) دليل على أن الصحة والسُّقم قد علمها الله -تعالى-، وما علم فلا بد من كونه على ما عَلِمه، لا يتجاوز وقته، ولكن النفس تسكن إلى العلاج والطب والرقى وكل سبب من أسباب قدر الله وعلمه»[٣].

وقال القاضي عياض رحمه الله: («لو سبق شيء القدر سبقته العين»: بيان أن لا شيء إلا ما قدَّره الله، وإن كل شيء من عين وغيره إنما هو بقدر الله ومشيئته، لكن فيه صحة أمر العين وقوة دائه)[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «العين لا تأتي إلا غفلة وأكثر ما تأتي أيضاً من يخاف منها»[٥].

وربما تتجلى فائدة الحوار مع المستفيد قبل الرقية كما جاء في هديه ﷺ في قوله: (من تتهمون؟) فعلى الراقي المعالج أن يجتهد في البحث عن أسباب أخرى قد تعرّض لها المستفيد، كحادث مروري شنيع، أو حالة رُعْب عند موقف مخيف، أو وفاة قريب أو ضغوط نفسية مستمرة وغيرها من الصدمات النفسية التي واجهها المريض في حياته، أو أمراض وراثية أو

---

(١) سورة يونس: ١٠٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقى رقم (٢١٨٨)، ٤/ ١٧١٩.

(٣) انظر: الاستذكار (٨/ ٤٠٣).

(٤) إكمال المعلم (٧/ ٨٥).

(٥) تفسير ابن عثيمين سورة الشعراء (ص ١٠٠).

ماضي تعاطي للمخدرات.

فقد تساعد جميع هذه المعلومات على نتائج إيجابية في الوصول إلى معرفة عِلّة المريض بإذن الله، بدلاً من أن يُعلّق المستفيد فشله في الزواج أو الدراسة أو الوظيفة أو التجارة ونحوها بإصابته بالعين؛ فقد يرسخ هذا الوهم في ذهن المستفيد إلى أن يهيمن عليه الوهن، فيركن إلى الإحباط حتى يصبح وهم الإصابة بالعين ديدنه طيلة حياته، فربما تعثّر عن مواصلته إلى طريق النجاح، وهذه إيحاءات شيطانية، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[١].

قال ابن القيم رحمه الله: «وذلك لأن الحزن يضعف القلب، ويوهن العزم، ويغيِّر الإرادة؛ ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[٢]فالحزن من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره. والثواب عليه ثواب المصائب الذي يُبتلى العبد بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوها»[٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[٤].

---

(١) سورة الأعراف، آية ٢٠١.

(٢) سورة المجادلة، آية ١٠.

(٣) طريق الهجرتين.(٢/ ٦٠٧).

(٤) سورة المجادلة، آية ١٠.

وقفة حول أثر السحر[١]

يُمَوَّه لبعض المصابين بالسحر أشياء موجودة على غير حقيقتها[٢]، بخلاف ما يرى بعض المرضى النفسيين أشياء غير ملموسة، فقد يرى الرجل المسحور زوجته بشكل قبيح، أو المرأة المسحورة ترى زوجها بشكل مخيف، فلا يطيق أحدهما معاشرة الآخر على حسب إصابة أحدهما أو كليهما

---

(١) السحر لغة: ما خفي ولطف سببه، ومنه سمِّي السَّحر لآخر الليل، لأن الأفعال التي تقع فيه تكون خفية، وكذلك سمِّي السَّحور؛ لما يؤكل في آخر الليل؛ لأنه يكون خفيًّا؛ فكل شيء خفي سببه يسمَّى سحراً.

وأما في الشرع، فإنه ينقسم إلى قسمين:

الأول: عقد ورقى؛ أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن الله تعالى قال: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله؛ فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمَّى عندهم بالصرف والعطف فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته أو امرأة أخرى، حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف بالعكس من ذلك فيؤثر في بدن المسحور بإضعافه شيئاً فشيئاً حتى يهلك، وفي تصوُّره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه وفي عقله، فربما يصل إلى الجنون والعياذ بالله، (القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح العثيمين) (ص٣١٣).

(٢) إن السحر يؤثر بلا شك، لكنه لا يؤثر بقلب الأعيان إلى أعيان أخرى؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله - ﷻ - وإنما يُخيَّل إلى المسحور أن هذا الشيء انقلب، وهذا الشيء تحرك أو مشى وما أشبه ذلك، كما جرى لموسى -عليه الصلاة والسلام - أمام سحرة آل فرعون، حيث كان يخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى، (القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين) (ص ٣١٤).

بالسحر، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[١].

قال الطبري رحمه الله: (واختلف في معنى السحر، فقال بعضهم: هو خدعٌ ومخاريق ومعانٍ يفعلها الساحر، حتى يُخيَّل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به، نظير الذي يرى السراب من بعيدٍ، فيُخَيَّل إليه أنه ماءٌ[٢]، ويرى الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو على حقيقته، وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا يُخيَّل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائرٌ معه. قالوا: فكذلك المسحور ذلك صفته، يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته كالذي حدث للنبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها: « أن النبي ﷺ لما سُحر كان يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله »[٣][٤].

وسوف تَضْمَحِل تلك المخاوف بإذن الله من السحرة والمشعوذين عند كثير من الناس حينما يتدبرون قول الله عز وجل: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[٥]. قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: (ذلك ملك من مُلوك الدنيا له حَرسٌ من دونه حرَس)[٦].

---

(١) سورة البقرة: (آية ١٠٢).

(٢) انظر: (ص ١٣٩).

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر (٢ / ٣٥٠).

(٤) والحديث أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٣)، ومسلم برقم (٢١٨٩).

(٥) سورة الرعد: (آية ١٣).

(٦) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر (١٦ / ٣٧٣).

﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: (ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خَلَّوا عنه)[١].

كما أن السحر لا يؤثر على الإنسان بمجرد حصول الساحر على صورته الفوتغرافيه أو صورته عبر أجهزة الاتصال ونحوها، ولا يستطيع الساحر السحر حتى بالمكالمة الهاتفية كما يزعم بعض المشعوذين حينما يتصل أحدهم من خارج البلاد ليأخذ أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٢]، بإذن الله الكوني القدري.

وكذلك من يدَّعون حقيقة ما يسمَّى بالسحر الأسود، أو السحر المرشوش[٣]، قال تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾[٤] فهذا باطل كبطلان السحر المستمر[٥]، قال السعدي رحمه الله في تفسيره: « فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على [صحة ما جاء به وصدقه]، أشار ﷺ إلى القمر بإذن الله تعالى، فانشق فلقتين، فلقة على جبل أبي قبيس، وفلقة على جبل قعيقعان، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التَّمويه بها والتخييل.

فشاهدوا أمرا ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره، فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيرا،

---

(١) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر (١٦ / ٣٧١).

(٢) سورة البقرة: (آية ١٠٢).

(٣) أين السحر المرشوش من قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾. للمزيد انظر ص: (١٢٦).

(٤) سورة الزخرف: (آية ١٩).

(٥) وربما يظن بعض الناس بأن معنى السحر المستمر فيه دلالة على تجديد السحر، وهذا الكلام غير صحيح، ويحتاج إلى دليل، والله أعلم.

ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم، وقالوا: سحرنا محمد، ولكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدم إليكم من السفر، فإنه وإن قدر على سحركم، لا يقدر أن يسحر من ليس مشاهدا مثلكم، فسألوا كل من قدم، فأخبرهم بوقوع ذلك، فقالوا: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ سحرنا محمد وسحر غيرنا، وهذا من البهت، الذي لا يروَّج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن الهدى والعقل، وهذا ليس إنكارا منهم لهذه الآية وحدها، بل كل آية تأتيهم، فإنهم مستعدون لمقابلتها بالباطل»[(١)].

وكذلك من يدَّعون حقيقة سحر التعطيل دون دليل؟ قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾[(٢)]. فمَن هم حتى يتألَّوا على الله سبحانه وتعالى!؟، وأين هم من قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[(٣)].

قال السعدي رحمه الله: « يغني فقيرا، ويجبر كسيرا، ويعطي قوما، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين، فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمَّت مواهبه أهل الأرض والسماوات، وعمَّ لطفه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه، وهذه الشئون التي أخبر أنه تعالى كل يوم هو في شأن، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته»[(٤)].

---

(١) تفسير الكريم الرحمن (١/ ٨٢٣).

(٢) سورة البقرة، (آية: ١١١).

(٣) سورة الرحمن، (آية:٢٩).

(٤) تفسير الكريم الرحمن (١/ ٨٣٠).

وكانت العرب تُكنِّي الشخص المصاب بالسحر وتقول: فلان به طب أو مطبوب تفاؤلاً بالشفاء.

وقالت عائشة ﵂: «سُحر النبيّ ﷺ حتّى إنّه ليخيّل إليه أنّه يفعل الشّيء وما فعله، حتّى إذا كان ذات يومٍ وهو عندي، دعا اللهّ ودعاه، ثمّ قال: أُشعرتُ يا عائشة أنّ اللهّ قد أفتاني فيما استفتيته فيه قلت: وما ذاك يا رسول اللهّ؟ قال: جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ، ثمّ قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرّجل؟ قال: مطبوبٌ، قال: ومن طبّه؟ قال: لَبيد بن الأعصم اليهوديّ من بني زريقٍ، قال: فيما ذا؟ قال: في مشطٍ ومشاطةٍ وجفّ طلعةٍ ذكرٍ، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان قال: فذهب النبيّ ﷺ في أناسٍ من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخلٌ، ثمّ رجع إلى عائشة فقال: واللهّ لكأنّ ماءها نقاعة الحنّاء، ولكأنّ نخلها رؤوس الشّياطين قلت: يا رسول اللهّ أفأخرجته؟ قال: لا، أمّا أنا فقد عافاني اللهّ وشفاني، وخشيت أن أثوّر على النّاس منه شرًّا وأمر بها فدفنت» (١).

وقال ابن القيم﵀: (يقال رجلٌ مطبوبٌ أي مسحورٌ...

قال أبو عبيد: إنما قالوا للمسحور: مطبوبٌ، لأنهم كنَّوا بالطب عن السحر، كما كنَّوا عن اللديغ، فقالوا: سليمٌ تفاؤلًا بالسلامة، وكما كنَّوا بالمفازة عن الفلاة المهلكة التي لا ماء فيها، فقالوا: مفازةٌ تفاؤلًا بالفوز من الهلاك. ويقال: الطب لنفس الداء) (٢).

والفأل يدخل على المريض السرور، وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال النبي

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٦٦).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ١٢٦)

ﷺ: « لا طيرة، وخيرها الفأل» قال: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم »[١].

قال ابن القيم رحمه الله: (والسحر الذي يؤثر مرضًا وثقلاً وعقدًا وحبًّا وبغضًا ونزيفا وغير ذلك من الآثار موجود، تعرفه عامَّة الناس. وكثير منهم قد علمه ذوقا بما أصيب به منه، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾ دليل على أن هذا النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه، ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهرا، كما يقوله هؤلاء، لم يكن للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه.

وأيضا فإذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به، مع أن هذا تغيير في إحساسهم، فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم؟ وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير الواقع في صفة أخرى من صفات النفس والبدن؟ فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركا، والمتصل منفصلا، والميت حيا، فما المحيل لأن يغير صفات نفسه، حتى يجعل المحبوب إليه بغيضا، والبغيض محبوبا، وغير ذلك من التأثيرات.

وقد قال تعالى عن سحرة فرعون إنهم: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴾ فبين سبحانه أن أعينهم سحرت، وذلك إما أن يكون لتغيير حصل في المرئي، وهو الحبال والعصيّ، مثل أن يكون السحرة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الطيرة، رقم ٥٧٥٤، ٧/ ١٣٥، ومسلم، كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم، رقم ٢٢٢٣، ٤/ ١٧٤٥.

استغاثت بأرواح حركتها، وهي الشياطين. فظنوا أنها تحركت بأنفسها. وهذا كما إذا جرّ من لا تراه حصيرا أو بساطا فترى الحصير والبساط ينجر، ولا ترى الجار له، مع أنه هو الذي يجره، فهكذا حال الحبال والعصي التبستها الشياطين، فقلبتها كتقليب الحيَّة. فظن الرائي أنها تقلبت بأنفسها، والشياطين هم الذين يقلبونها. وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي. حتى رأى الحبال والعصي تتحرك، وهي ساكنة في أنفسها. ولا ريب أن الساحر يفعل هذا وهذا، فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه، حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستغاثته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف فيها.

وأما ما يقوله المنكرون: من أنهم فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب حركتها ومشيها، مثل الزئبق وغيره، حتى سعت. فهذا باطل من وجوه كثيرة.

فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالا، بل حركة حقيقية، ولم يكن ذلك سحرا لأعين الناس، ولا يسمَّى ذلك سحرا، بل صناعة من الصناعات المشتركة.

وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ ولو كانت تحركت بنوع حيلة- كما يقوله المنكرون- لم يكن هذا من السحر في شيء. ومثل هذا لا يخفى.

وأيضا لو كان ذلك بحيلة- كما قال هؤلاء- لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق، وبيان ذلك المحال ولم يحتاج إلى إلقاء العصا لابتلاعها

وأيضا: فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة، بل يكفي فيها حُذَّاق الصنَّاع. ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة،

وخضوعه لهم، ووعدهم بالتقريب والجزاء

وأيضا: فإنه لا يقال في ذلك ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها.

وبالجملة: فبطلان هذا أظهر أن يتكلف رده، فلنرجع إلى المقصود) [١].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «أمَّا العلاج للسحر فيعالج بالرقى الشرعية والأدوية النافعة المباحة. ومن أنفع العلاج علاج المسحور بقراءة الفاتحة عليه مع النفث، وآية الكرسي، وآيات السحر في سورة الأعراف، وسورة طه، وبقراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ويستحب تكرار هذه السور الثلاث ثلاث مرات مع الدعاء الصحيح المشهور الذي كان يدعو به النبي ﷺ لعلاج المرضى وهو:

«**اللهم رب النَّاس، أذهِب البأس، اشفِ أنتَ الشافي لا شفاءَ إلا شِفاؤُكَ شِفَاءً لا يُغادِرُ سقماً**»[٢] ويكرر ذلك ثلاثاً.

ويدعو أيضاً بالرقية التي رقى بها جبرائيل النبي ﷺ وهي: « **باسم الله أرقيك من كل شيءٍ يؤذيك من شر كل نفسٍ أو عين حاسدٍ الله يشفيك باسم الله أرقيك** »[٣] ويكررها ثلاثاً، وهذه الرقية من أنفع العلاج بإذن الله سبحانه.

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٢٧ - ٢٢٨).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ برقم (٥٣٥١)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، برقم (٢١٩١) كما أخرجه البخاري من حديث أنس برقم (٥٤١٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطب والمرضى والرقية برقم (٢١٨٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

ومن العلاج أيضاً إتلاف الشيء الذي يظنُّ أنه عُمِل فيه السِّحر من صوف أو خيوط معقَّدة أو غير ذلك مما يظن أنه سبب السحر، مع العناية من المسحور بالتعوذات الشرعية، ومنها التعوذ: «بكلماتِ الله التَّامَّات من شرِّ مَا خلق»[(١)]. ثلاث مرات صباحاً ومساء، وقراءة السور الثلاث المتقدمة بعد الصبح والمغرب ثلاث مرات، وقراءة آية الكرسي بعد الصلاة وعند النوم.

ويستحب أن يقول صباحاً ومساء: « بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم » ثلاث مرات[(٢)]، لصحة ذلك كله عن النبي ﷺ، مع حسن الظن بالله والإيمان بأنه مسبب الأسباب، وأنه هو الذي يشفي المريض إذا شاء، وإنما التعوذات والأدوية أسباب، والله سبحانه هو الشافي، فيعتمد على الله سبحانه وحده دون الأسباب، ولكن يعتقد أنها أسباب إن شاء الله نفع بها، وإن شاء سلبها المنفعة، لِمَا له سبحانه من الحكمة البالغة في كل شيء، وهو سبحانه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهو سبحانه ولي التوفيق[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من سوء القضاء... برقم (٢٧٠٨)، من حديث خولة بنت الحكيم السلمية رضي الله عنها.

(٢) أخرجه من حديث عثمان بن عفان أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول: إذا أصبح برقم (٥٠٨٨)، والترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح برقم (٣٣٨٨) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) مسائل في العقيدة وصفة الوضوء وصفة صلاة النبي ﷺ والتحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة، لسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - (ص٢١).

وقفة حول رؤية الجن بين الحقيقة والوهم

لم يُؤْثَر – فيما أعلم – عن أحد من السلف رحمهم الله أنه رأى الجن على هيئتهم التي خلقهم الله ﷻ عليها كما جاء وصفهم في الكتاب والسنة، وقد تضافرت الأدلة الشرعية على أنه لا يمكن رؤية الجن على هيئتهم الحقيقية في الحياة الدنيا.

قال الإمام الشافعي ﷺ: «من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن رُدَّت شهادته، وعُزِّر لمخالفته لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[(١)]، إلا أن يكون الزاعم نبيًّا[(٢)].

وقال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[(٣)]

---

(١) سورة الأعراف: (آية ٢٧).

(٢) حياة الحيوان للدميري (١/ ١٩١).

(٣) سورة الصافات: (آية ٦٤)، قال الحسن البصري ﷺ: «ثمرها وما تحمله كأنه في تناهي قبحه، وشناعة منظره رؤوس الشياطين، فشبَّه المحسوس بالمتخيَّل، وإن كان غير مرئي للدلالة على أنه غاية في القبح كما تقول في تشبيه من يستقبحونه: كأنه شيطان، وفي تشبيه من يستحبونه كأنه ملك، كما في قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[يوسف: ٣١]، (فتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٥٦)، وقال النحَّاس: «وليس ذلك معروفاً عند العرب، وقيل: هو شجر خشن منتن مرٌّ منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين»، (تفسير القرطبي، جامع أحكام القرآن) (١٥/ ٨٧)».
«فالشيطان عند العرب لـمَّا كان الغاية في القبح والـمَلك والـمَلاك لـمَّا كان الغاية في الجمال والحسن والأخلاق، والغُول لما كان غاية في إدخال الرهبة والهلع والخوف إلى القلوب، كانت لهذه الألفاظ معانٍ متصورة في أذهانهم ومتخيَّلة، لذلك تجد أن من يريد أن يرسم الشيطان أو يصوِّره جاء به على أقبح ما يكون وأشدّ ما يكون شناعة مما يتخيَّله في ذهنه، بخلاف من أراد رسم الـمَلاك أو تصويره، فإنه يأتي به على أحسن ما يتخيَّله ويتصوَّره في ذهنه، وكذلك الأمر في الغول يأتي به من يريد تصويره

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « لا تحرَّوا بصلاتكم طلوع الشمس، ولا غروبها، فإنها تطلع بقرني الشيطان »[١].

وثبت في الكتاب والسنة أن الجن لهم القدرة بإذن الله على التمّثل بشكل الإنسان والحيوان وقد أخبر ﷺ أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة وعلل ذلك بأن (الكلب الأسود شيطان)[٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (جاء إبليس يوم بدرٍ في جندٍ من الشياطين معه رايته في صورة رجلٍ من بني مدلجٍ في صورة سراقة بن مالك بن جعشمٍ، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم، فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله ﷺ قبضةً من التراب، فرمى بها في

ورسمه على أشد ما يكون تخويفاً في ذهنه. وسمِّي هذا التَّشبيه وهميًّا لأن هذه الصورة الذهنية موجودة في أوهامهم وتخيُّلهم، بغض النظر عن وجودها في الخارج أو عدمه....، فهي إذن متصوَّرة في الوهم ومتخيَّلة ومُدركة، سواء أكان لها وجود في الخارج أم لم يكن لها وجود. وقولك في وصف رجل غني(هو جبل من ذهب) أو في وصف حصان سريع (هذا حصان يطير بجناحين) أمر متخيَّل موهوم لا وجود له في الواقع الخارجي أو الواقع الموضوعي، ومع ذلك فهو متصوَّر في الذهن ومعهود له، لِما في العقل من قدرة على التركيب والتجزئة والتخييل، فالجبل والذهب والحصان والأجنحة مفردات مدركة معروفة معانيها، ولها وجود في الذهن والخارج، أما (جبل من ذهب) و(حصان بجناحين) فصورة مركَّبة لا وجود لها إلا في الذهن فقط، وقد يضع لها الإنسان لفظاً خاصًّا بها ويدلُّ عليها مع أنه لا وجود لهذه الصور إلا في الذهن فقط. وعليه فإن هذه الألفاظ ومعانيها معهودة للعرب ومعروفة لهم، فلا يقال إن القرآن خاطبهم بما لا يعرفون، وجاءهم بتشبيهات لا عهد لهم له. والله أعلم» ، ملتقى أهل التفسير ، باب تهافت القول بالإعجاز العلمي».
والغول في لغة العرب: الجانّ إذا تبدَّى في الليل. (تفسير ابن كثير ١/ ٥٧٢).

(١) ينظر: صحيح مسلم (١ / ٥٦٧).

(٢) رواه مسلم: (١/ ٥١٠) رقمه (٥١٠).

وجوه المشركين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجلٍ من المشركين، انتزع إبليس يده، فولى مدبرًا هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة تزعم أنك لنا جارٌ؟ قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[١]، وذلك حين رأى الملائكة)[٢].

وعن قتادة بن النعمان ﷺ، أنه قال: كانت ليلةٌ شديدة الظلمة والمطر فقلت: لو أني اغتنمت هذه الليلة شهود العَتَمة مع رسول الله ﷺ ففعلت فلما انصرف النبي ﷺ أبصرني ومعه عرجونٌ يمشي عليه.

فقال: ما لك يا قتادة هاهنا هذه الساعة؟ فقلت: اغتنمت شهود الصلاة معك يا رسول الله فأعطاني العرجون فقال: «إن الشيطان قد خلفك في أهلك، فاذهب بهذا العرجون، فأمسك به حتى تأتي بيتك، فخذه من وراء البيت فاضربه بالعرجون»، فخرجت من المسجد، فأضاء العرجون مثل الشمعة نورا فاستضأت به، فأتيت أهلي فوجدتهم رقودا، فنظرت في الزاوية، فإذا فيها قنفذ، فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج»[٣].

وهذا من علامات نبوته ﷺ.

فقد ثبت في صحيح البخارى حديث أبي هريرة قال : وكَّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو الطعام، فأخذته وقلت : لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، قال : إني محتاج وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة،

---

(١) سورة الأنفال: (آية ٤٨).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر (١١ / ٢٢١).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٩) (١٩/ ٥)، صححه الألباني في الصحيحة (٣٠٣٦).

قال : فخليت عنه، فأصبحت فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة ؟) قلت : يارسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخلَّيت سبيله، قال : (أما إنه قد كذبك وسيعود) فعرفت أنه سيعود؛ لقول رسول الله ﷺ، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال : إني محتاج وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخلَّيت عنه، فأصبحت فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة ؟) قلت : يارسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخلَّيْت سبيله، قال : (أما إنه قد كذبك وسيعود) فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات، تزعم أنك لا تعود ثم تعود، قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت : ما هن؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[1] حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنَّك شيطان حتى تصبح، فخلَّيت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ : (ما فعل أسيرك البارحة ؟) قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخلَّيتُ سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية:٢٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية:٢٥٥.

وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنَّك شيطان حتى تصبح. وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ (أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟) قلت: لا . قال (ذلك شيطان) [(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (والجن يتصوَّرون في صورة الإنس والبهائم فيتصوَّرون في الحيَّات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم)[(٢)].

وعلى كل حال فعالم الجن عالم غيبي، فقد سئل سماحة الشيخ ابن باز ﷺ بما نصه:

س: «**هل يظهر الجن لبعض الناس ويعقد صداقات معهم؟ وهل الجنّي هو الشيطان؟**»، فأجاب ﷺ بقوله:

ج: قد يظهر الجن لبعض الناس، والجن ثقل مستقل غير الإنس، والمشهور عند العلماء أنهم أولاد الشيطان، كما أن الإنس أولاد آدم، فالشيطان الذي هو الجانّ، الذي امتنع من السجود لآدم هو أبو الجن، فمنهم طيب، وكافرهم مثل كافر الإنس خبيث، فيهم الفاسق وفيهم الكافر وفيهم المؤمن الطيب وفيهم العاصي، فهم أقسام مثل الإنس قد يتصل بعض الناس بهم، وقد يكلمهم ويكلمونه، وقد يراهم بعض

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الوكالة، باب: إذا وكل رجل فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز رقم ٢٣١١، ٣/ ١٠١.

(٢) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، ص ٣٢.

الناس[١]، لكن الأغلب أنهم لا يُروْن، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[٢]، يعني يروننا من حيث لا نراهم، لكن الجنّيّ قد يبدو لبعض الناس في الصحراء، وفي البيوت، وقد يخاطب.

وقد حدثنا جماعة من العلماء عن وقائع كثيرة، من هذا أن بعض الجن حضروا مجالس العلم، وسألوا عن بعض العلم وإن كانوا لا يرون. وبعض الناس قد يراهم يتمثلون في الصحراء وغير الصحراء، لكن لا تجوز عبادتهم من دون الله، ولا الاستغاثة بهم، ولا الاستعانة بهم على إضرار المسلمين، ولا سؤالهم عن علم الغيب، بل يجب أن يحذروا، أما دعوتهم إلى الله إذا عرفتهم، وتعليمهم ما ينفعهم، ونصيحتهم، ووعظهم، وتذكيرهم، فلا بأس بذلك، أما الاستعانة بهم أو الاستغاثة بهم، أو النذر لهم، أو التقرب إليهم بالذبائح خوف شرهم، كل هذا منكر، قال الله جل وعلا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[٣]. يعني زادوهم شراً وبلاء، والآية فيها تفسيران: أحدهما زادوهم، يعني الجن زادوا الإنس ذعراً وخوفاً، والمعنى الثاني فزادوهم رهقاً، زاد الإنس الجن رهقاً، يعني طغياناً وكفراً وعدواناً عليهم، لأنهم لما رأوا الإنس يخافونهم تكبَّروا عليهم، وزادوا في إيذائهم، وبكل حال فلا يجوز سؤالهم ولا الاستغاثة بهم ولا النَّذر لهم، ولا نداؤهم لطلب حاجة، أو شفاء مريض،

---

(١) قلت: لعل مراد الشيخ ﷺ أنهم يرونهم على صورة الإنس والبهائم كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ (ص ١٣٤).

(٢) سورة الأعراف: (آية ٢٧).

(٣) سورة الجن، الآية: ٦.

أو ما أشبه ذلك، لكن إذا كلمهم ينصحهم ويذكرهم ويدعوهم إلى الله ويعلمهم ما ينفعهم، فلا حرج في ذلك، كالإنس»[١].

يتضح لنا من خلال هذه النصوص: أن عالم الجن عالم غير مرئي، وليس لأحد القدرة على تمييز الجانّ المتمثل في هيئة إنسان ما... أو حيوان ما...، حينما يظهر بصورة أحدهما بعد وفاة رسول الله ﷺ، وانقطاع الوحي.

وعليه فإن الشخص الذي يزعم أنه يرى الجانّ سواء تمثل على هيئة إنسان ما... غير ملموس، أو تمثل على شكل حيوان ما ... غير ملموس، ولا يراه أحد غيره، فهذا الشخص على إحدى أمرين.

الأمر الأول: إما أن يكون هذا الشخص مريضاً ذهانيًّا كالذي ذكره[٢] شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في تصوير البَلَه[٣] وإن اختلفت مسمَّيات الأمراض النفسية في هذا الزمن كالذهان، ومنها: الفصام، كما يعرف بمصطلح الطب النفسي، وذلك حينما ذكر رحمه الله حال النائم إلى أن قال:

وهذا كالذي يرى صورته في المرآة[٤] أو صورة غيره فإذا كان ضعيف

---

(١) فتاوى نور على الدرب، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، ١/ ٢٣٠ - ٢٣٢.

(٢) وذكره كذلك ابن القيم رحمه الله، انظر: (ص ١٤٧).

(٣) بَلَهْ: ضعف العقل وقلة التمييز، درجة أقل من الجنون، تأخر النمو العقلي والإدراك، (القاموس الطبي العربي، د. عبدالعزيز اللبدي) (ص ١٩٤).

(٤) ولهذا ينصح بعض الأطباء النفسيين أحياناً أسرة المريض الذهاني في الحالات المتقدمة بإبعاد المرآة عن المريض خشية أن يقوم بكسرها أثناء الاعتداء على صورته، وكذلك بعض مرضى الزهايمر حينما يتحدث أحدهم مع التلفاز أو يتحدث مع الصور المعلَّقة على الحائط التي تحتوي على أشخاص.

العقل ظن أن تلك الصورة هي الشخص حتى إنه يفعل به ما يفعل بالشخص.

وهذا يقع للصبيان والبُلْه[١] كما يخيَّل[٢] لأحدهم في الضوء[٣] شخص يتحرك ويصعد وينزل فيظنونه شخصا حقيقة[٤] ولا يعلمون أنه خيال[٥].

قلت: وعلى كل حال، فمن المُحال على كائنٍ مَن كان أن يتوافق نظره مع ما ينظر إليه المريض الذهاني، والله أعلم.

الأمر الثاني: وإما أن يكون هذا الشخص يخيَّل له أنه يرى الجن على **أثر تعاطي المخدرات.**

فربما يجهل بعض الناس علاقة المؤثرات العقلية باختلال العقل؛ خصوصاً عندما تظهر الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة على مرضى الإدمان – هداهم الله وعافاهم –، فيغلب على ظن أقاربهم أو من حولهم بأنهم مصابون بتلبس الجن أو السحر، وقد لاحظت على الكثير من مرضى الإدمان بأنهم يتوهَّمون إصابتهم بتلبس الجن أو السحر.

---

(١) البُلْه: صيغة جمع ومفردها أَبْلَه.

(٢) انظر تعريف الخيال (ص ١٣٩).

(٣) انعكاس الظل .

(٤) قال ابن القيم رحمه الله: «ومعلوم قطعاً أن هذه المتخيّلات لا حقيقة لها في ذاتها ، وإنما الذهنُ يفرضها تقديراً وليست منضبطة في النفس، فإن العلومَ الخارجية لا تنطبع صورُها في النفس » ، انظر: الروح لابن القيم: (ص: ٢٥٤)، فرحم الله شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم عندما تحدثوا عن هذه الأمور من الأمراض النفسية فنجد أنهم سبقوا علم النفس المعاصر في ذلك بقرون عديدة، ذلك لأن علمهم وتقريراتهم، وتأصيلهم للأشياء مستمدّ من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ.

(٥) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣) .

فقد يوافقني على كلامي هذا أدنى معالج يعمل في مجمعات إرادة والصحة النفسية، فضلاً عن الأطباء النفسيين، وذلك لتكرار مثل هذه الحالات لديهم.

فالذي يظهر لي – والله أعلم – أن غالب من يكثر الشكوى من رؤية أشخاص أو أشباح أو جن متكررة، أويسمع أصواتاً مزعجة ومختلفة كمنبه هاتف، أو منبه سيارة، أو صوت تشويش مذياع، أو صوت راديو، أو يسمع صوتاً كرنين الحديد، كما يحدث للأواني المنزلية حينما يضرب بعضها ببعض، أو يسمع شخصاً يكلِّمه ويأمره افعل كذا وكذا، أو يسمع صوت كحَّة إنسان أو هاتف يهتف أنت مجنون ونحوه، بصفة مستمرة ويتصوّر أنه مضطهد أو أن أحداً يطارده، أو أن مؤامرة تُحاك ضده، فإنه غير مصاب بتلبس الجن أو السحر، والدلالة على ذلك أن هذه الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة[1] تختفي إلى حدٍّ كبير عند بعض المرضى في أثناء ما يصرف الطبيب مضادات الذهان للمريض دون رقية، لكنها سرعان ما تظهر عندما يترك المريض العلاج.

بينما الخيالات بأنواعها عند بعض المصابين بتلبس الجن أو السحر لا تكاد تظهر، ونادراً ما يرى إنساناً أو حيواناً، أو يلمح خيالاً كالظل، أو يسمع صوتاً ينادي باسمه أو كأن أحداً يهمس في أذنه بكلام غير مفهوم، أو يسمع صوت نباح كلاب ونحوه، فتظهر له الأصوات المسموعة أحياناً بصفة متقطعة وفي أوقات مختلفة ومتباعدة حتى في الحالات المزمنة منها، لكنها تتلاشى في الغالب مع الرقية وتذهب بلا عودة بإذن الله، والله أعلم.

(١) للمزيد: انظر كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص٢٤٩).

وقفة حول أثر الوهم

يعرف: الوهْمُ: أنه من خطرات القلب، والجمعُ أوهامٌ، وللقلب وهم. وتوهَّم الشيءَ: تخيَّله وتمثَّله، كان في الوجود أو لم يكن. وقال: توهمتُ الشيء وتفرَّسْتُه وتوسمته وتبيَّنته بمعنى واحد؛ قال زهير في معنى التوهُّم:

وقَفْتُ بها من بعدِ عشرين حِجَّةً فَلأْياً عَرَفْتُ الدَّارَ بعدَ تَوهُّمِ

وَيُقَالُ: وَهِمْتُ فِي كَذَا وَكَذَا أَيْ غلِطْتُ

وأما الوهم: فانقياد النفس لقبول أثر ما يرد عليها من قولهم: حَمْلٌ وهْم، وطريق وهْم، والفرق بينه وبين الخاطر أن الخاطر يقال فيما لا تقبله النفس، والوهم لا يقال إلا فيما تقبله النفس[(١)].

وأما «(الخيال) الشَّخْص، والطيف، وَمَا تشبه لَك فِي الْيَقَظَة والمنام من صُورَة، وَصُورَة تِمْثَال الشَّيْء فِي الْمرْآة، وَمن كل شَيْء مَا تَرَاهُ كالظل، وخشبة ينصب عَلَيْهَا كسَاء أسود فِي المزروعات يُفزع بهَا الطير وَفِي مرابض الْغنم يُفزع بهَا الذئاب وَمَا نصب فِي الأَرْض ليعلم أَنه حِمى فَلَا يُقرب، وَإِحْدَى[(٢)] قوى الْعقل الَّتِي يتخيَّل بهَا الْأَشْيَاء»[(٣)].

وقد ضرب الله - ﷻ - في كتابه العزيز أروع الأمثلة على السعي وراء الوهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط (٢ / ١٠٦٠).

(٢) لا يزال الكلام عن الخيال.

(٣) المعجم الوسيط (١ / ٢٦٦).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هو مثلٌ ضربه الله لرجلٍ عطش فاشتد عطشه، فرأى سرابًا، فحسبه ماءً، فطلبه، وظن أنه قد قدر عليه، حتى أتاه، فلما أتاه لم يجده شيئًا، وقبض عند ذلك، يقول الكافر كذلك، يحسب أن عمله مُغْنٍ عنه، أو نافعه شيئًا، ولا يكون آتيًا على شيءٍ حتى يأتيه الموت، فإذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئًا، ولم ينفعه إلا كما نفع العطشان المشتدُّ إلى السَّراب)[١].

ويُستنتج من هذه الآية الكريمة علاقة الوهم وتأثيره على اختلال العقل بسبب الظروف الصعبة التي تحيط بالإنسان.

فمن المعروف أن السراب لا يتحوّل إلى ماء في نظر الإنسان المدرك الذي لم يكابد شدَّة العطش، بل يعلم يقيناً أنه خداع بصري، بينما السراب يتحوّل إلى ماء في عين الإنسان الذي غاب عنه عقله من شدة العطش.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ «الحس إن لم يكن مع صاحبه عقل وإلا فقد يغلط»[٢].

وفي هذا أيضاً دلالة على أن المريض قد يفقد الإدراك على قدر معاناته من شدة المرض، فيرى بعض الأشياء على غير حقيقتها وتتعلق نفسه على أدنى بصيص أمل في طلب العلاج، فينساق وراء الوهم!.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «مرض البدن: خلاف صحته وصلاحه وهو فساد يكون فيه، يفسد به إدراكه وحركته الطبيعية، فإدراكه إما أن يذهب كالعمي والصمم، وإما أن يدرك الأشياء على خلاف ما هي عليه،

(١) تفسير الطبري، جامع البيان (١٩/ ١٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى: (٧/ ٤٣).

كما يدرك الحلو مراً، وكما يتخيَّل إليه أشياء لا حقيقة لها في الخارج»[١].

فمن الأسباب المعينة على الشفاء بإذن الله تعالى، تناسي المريض لمرضه:

كما قال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «ثم إنه إذا صبر على المرض وتناسى الأمر حصل له برؤ منه، لأن الوهم النفسي له تأثير في بقاء المرض وزيادة المرض، فإذا رفض الإنسان هذا المرض وصار لا يفكر فيه فإنه بإذن الله سوف يشفى»[٢].

ومن الفوائد التي ذكرهاابن القيم ﷺ نعمة النِّسيان على الإنسان حيث قال: «ومن أعجب النعم عليه نعمة النِّسيان، فإنه لولا النِّسْيان لما سلا شيئاً ولا انقضت له حسرة، ولا تعزَّى عن مصيبة، ولا مات له حزن، ولا بطلَ له حقد، ولا تمتَّع بشيء من متاع الدنيا، مع تذكُّر الآفات، ولا رجاء غفلة عدو، ولا نقمة من حاسد»[٣].

وهذه قصة حول هذا الموضوع:

حدثني أحد الزملاء عن قصة حصلت لوالدته حينما اشتكت لأخيه من وَعْكَة صحيَّة، وأنا هنا أذكرها بأسلوبه:

فقال: طلبت منه والدتي ماء قد قُرئ فيه بشيء من القرآن مع النفث من أحد الرقاة.

يقول أخي: فخرجت لقضاء بعض الحاجة في طريقي إلى الراقي فلم أشعر بنفسي حتى رجعت و تركت منزله بعيداً وراء ظهري وتذكرت حاجة والدتي

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٩٢).

(٢) اللقاء الشهري لابن عثيمين الجزء ٣٧ (ص ٢٨).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٧).

حينما شارفت على منزلنا، فما كان منّي إلا أن اشتريت عبوَّة ماء من محل تموينات وفتحتها ثم أغلقتها ولم أخبر والدتي بما حصل، فلما انتهيت إليها ناولتها عبوَّة الماء فشربت منها حتى ارتوت ثم قالت: الحمد لله عافاني الله؟[١].

ويقول الشيخ الدكتور عبدالرحمن السند: «وأما ابتداع طرق في الرقية منها:

س - استغلال حاجة الناس ببيعهم الوهم، مثل: قيام أحدهم ببيع (كريم الجسم)، وكتب عليه: (يساعد على إزالة أثر العين والحسد والمس، ويطرد الوسواس والكوابيس الليلية، ويخفف الاكتئاب النفسي)، وقيام آخر ببيع (ملح) مخلوط ببعض المواد، ويدَّعي أنه يفيد في علاج العين، والسحر، والتضييق على مجاري الشيطان، وإصابات العين والسحر في المنازل والممتلكات...

٧ - إدخال الوهم والخوف على المرضى، ومن ذلك أن أحد الرقاة أخبر فتاة حضرت مع أخيها المريض أنها مسحورة، وأن أخاها الآخر وأمَّها مسحوران[٢]، ولابد من إحضار الجميع للرقية»[٣].

ومن صور إدخال الوهم على المراجعين كذلك حث بعض بعض الرقاة المراجعين على مواصلة جلسات أخرى قد تصل إلى عدَّة أسابيع أو شهور إلى

---

(١) كتاب أحكام الرقية الشرعية (ص ٨٤، ٨٦).

(٢) قلت: صنع هذا الراقي حوله الزحام بهذه الطريقة - لاسيما تشخيص الغائب وذلك دون أن يقرأ على أخيها ووالدتها، فيتضح له شيء من القرائن التي تدل على السحر في أثناء الرقية. انظر: فتوى الشيخ ابن باز رحمه الله (ص ١٥٢)-. وكذلك من سلك مسلكه من بعض الرقاة، والله المستعان، وللمزيد انظر كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٠١).

(٣)كتاب أحكام الرقية الشرعية (ص ٨٤، ٨٦).

أن يستحكم الوهم عليهم.

فقد ورد سؤال لمعالي الشيخ الدكتور صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء ما نصه: «س: يقول بعض الرقاة أن هناك بعض المواد تطرد الجن من بدن المريض مثل جلد الذئب، وبعض النباتات إذا شمَّها المريض وحجتهم أنها علاج، والعلاج ثبت في التجربة نجاحه؟!

ج: هذه شعوذة ولا تجوز.. اتخاذ الذئب الحيَّ أو شيء من جلده أو غيره..

هذا كله من الشعوذات ولا أصل له، ولا يجوز هذا وربما يؤول إلى الشرك والاعتقاد في الذئب أنه يشفي أو غيره.. هذا لا يجوز ولا الأعشاب لم يرد فيها شيء خاص أنها تطرد الجن، هذا غير صحيح. هذا لا يُقال فيه إلا بدليل لا يُقال التجربة. الذي عنده دليل على أن الأعشاب تطرد الجن يأتي بالدليل الصحيح»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «كثر في هذه الآونة الآخيرة أوهام الناس وتخيُّلات بأن ما يصيبهم فهو عين أو سحر أو جن حتى لو يصاب بعضهم بالزكام قال إنه عين أو سحر. وهذا غلط، أعرض أيها المسلم عن هذا كله، وتوكل على الله واعتمد عليه ولا توسوس به لأن الإنسان متى جعل على باله شيئاً شغل به، وإذا تغافل عنه وتركه لم يصب بأذى»[(٢)].

ومن لطائف وطرائف الدكتور محمد لطفي الصبَّاغ هذه القصة، يقول: «وعلى الطبيب أن يكون لبقاً مع مرضاه، متلطفاً بهم، فلا يقول لهم ما يوهنهم أو يوقعهم في اليأس.

---

(١) الرقية الشرعية ضوابطها ومحاذيرها (ص ٥٦، ٥٧).

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين الجزء الثاني (ص ٤).

حدثني شيخنا الشيخ زيد العابدين التونسي ﷾ أنه كان له صديق طبيب، فمرّ به زائراً لا مُستطبًّا. فقال له الطبيب: أريد أن أفحصك لأطمئنّ عن صحتك... فقال: جزاك الله خيراً، لك ما تريد ولك الفضل.

وبعد أن (عاينه) قال له: يا سيدي وضعك في منتهى الخطورة، وأشار له بيده إشارة معينة.

قال الشيخ: والله لقد انقطع قلبي بها، ثم قدَّم له مجموعة من الأدوية بعضها قبل الأكل، وبعضها بعد الأكل، وقال: إني أرجو أن أراك بعد أسبوع.

خرج الشيخ من عيادته ورجلاه لا تحملانه... ثم قال لنفسه: إنني أدرى بنفسي وإني والله بخير، فرمى بالأدوية جانباً، ولم يعُدْ لبيته، لأنه خشي إن عرف أهله ما قال له الطبيب الصديق أن يوهموه على نفسه، بل قام برحلة زار فيها حمص وحماة وحلب واللَّاذقية وطرابلس وبيروت، وعاد إلى دمشق معافى نشيطاً.

إن هذا الطبيب أراد أن يحذّر صديقه وينصح له، ولكنه لم يكن لبقاً ولا متلطفاً... ولولا أن الشيخ قاوم ترهيب ذاك الطبيب لكان حقاً من المرضى... لأن للحالة النفسية للإنسان تأثيراً في الحالة الجسميَّة.

وعليه أن يراعي نفسية المريض، ويلجأ إلى الأساليب التي تعين على التخلُّص من الأوهام، فكثير من المرضى يكونون من المصابين بوهم المرض»[1].

(١) أخلاق الطبيب، تأليف الدكتور: محمد بن لطفي الصباغ، ص ٧٣.

وقفة حول العلاج بالتخييل

أُستعمل العلاج بالتخييل منذ القدم، وحُكمُه في الشريعة الإسلامية الجواز[١]، وهو من رخصها السمحة التي لا ضرر على أحد فيها ولا هضم لحق أحد فيه، وهو تصوير غير حقيقي لمصلحة المريض ينتفع به بإذن الله.

فالتخيّل والتخييل من خصائص الإنسان[٢]، وهو من نعم الله عليه، وهو أحد أنواع العلاج، يقول الإمام ابن القيم ﷺ من وصف الطبيب الحاذق في الأمر التاسع عشر: أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية، والعلاج بالتخييل، فإن لحذاق الأطباء في التخييل أمورًا عجيبةً لا يصل إليها الدواء، فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل معينٍ[٣].

والمعالج الحاذق الذي لديه مهارة في التعامل مع المرضى وممارسة في العلاج بالتخييل يستطيع – بإذن الله – أن يدفع ما لدى المريض من الوهم بضدِّه دون أن يصل إليه الدواء كما ذكر ابن القيم ﷺ.

قال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «الانفعال النفسي له أثر كبير في إضعاف الإنسان؛ فأحياناً يتوهم الصحيح أنه مريض فيمرض، وأحياناً يتناسى الإنسان المرض وهو مريض فيصبح صحيحاً؛ فانفعال النفس بالشيء له أثره البالغ، ولهذا تجد بعض الذين يصابون بالأمراض النفسية يكون أصل

(١) والتعريض بالكذب على المريض النفسي يجوز، لما فيه المصلحة له، وللإمام النووي ﷺ كلام فيما يجوز ويباح من الكذب للمصلحة، ذكر ذلك في كتابيه: «رياض الصالحين»، و«الأذكار» في بيان ما يجوز من الكذب (ص ٥٩٢).

(٢) الخيال: إحدى قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء. انظر: (ص ١٣٩).

(٣) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٤/ ٢٠٦).

إصابتهم ضعف النفس من أول الأمر، حتى يظن الإنسان أنه مريض بكذا أو بكذا؛ فيزداد عليه الوهم حتى يصبح الموهوم حقيقة»[١].

ومن صور العلاج بالتخييل هذه القصة الطريفة حول هذا الموضوع التي ذكرها الشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمه الله:

ذكر الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله عن الشيخ الخضري رحمه الله: أصيب في أواخر عمره بتوهُّم أن في أمعائه ثعباناً، فراجع الأطباء، وسأل الحكماء، فكانوا يدارون الضحك حياءً منه، ويخبرونه أن الأمعاء قد يسكنها الدود، ولكن لا تقطنها الثعابين، فلا يصدق. حتى وصل إلى طبيب حاذق بالطب، بصير بالنفسيات، قد سمع بقصته، فسقاه مسهلاً، وأدخله المستراح، وكان وضع له ثعباناً، فلما رآه أشرق وجهه، ونشط جسمه، وأحس بالعافية، ونزل يقفز قفزاً، وكان قد صعد متحاملاً على نفسه، يلهث إعياء، ويئن ويتوجع، ولم يمرض بعد ذلك أبداً، قال الشيخ علي الطنطاوي: «ما شفي الشيخ لأن ثعباناً كان في بطنه ونزل، بل لأن ثعباناً كان في رأسه وطار»[٢].

وهذه الطريقة التي سلكها هذا الطبيب تدل على موافقتها لكلام ابن القيم رحمه الله الذي تقدم ذكره عن العلاج بالتخييل[٣].

ومما يذكر هنا أن فوائد العلاج بالتخييل لا تعمَّم على سائر المرضى.

حيث تؤكد الدكتورة صهباء بندق قائلة: «ويبقى أن نؤكد أن هذه الطريقة العلاجية - التخيّل - كغيرها من طرق الطب البديل، لا يمكن

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (ص ١١٠).

(٢) صور وخواطر، للشيخ علي الطنطاوي، ص ١٥.

(٣) انظر: ص ١٤٥.

تعميمها على جميع المرضى، إذ قد تناسب بعض المرضى[١] ولا تناسب غيرهم[٢]، كما تختلف استجابة كل إنسان عن غيره فليس من الممكن معالجة جميع الحالات المرضية بواسطة التصوّر الذهني»[٣].

شبهة والجواب عنها:

شاع في الآونة الأخيرة لدى بعض الأفراد من الرقاة الذين يقرؤون على المرضى طريقة مستحدثة وليست مذكورة في كتاب الله ولا سنة رسوله محمد ﷺ، ولا عُرفت عن سلف هذه الأمة - فيما أعلم - مع أن صفتها سهلة، وصفتها أن يقول الراقي للمريض: اغمِضْ عينيك، وتخيَّل مَن سَحَرَكَ أو مكان سِحْرِك، أو من عانك، وسمعت من بعض الأشخاص أنه يعزو هذه الطريقة للإمام ابن القيم رحمه الله، ولم أقف على هذه الطريقة في مظانها من كتبه ومؤلفاته رحمه الله، غير أنه ذكر العلاج بالتخييل.

---

(١) كما ناسبت تلك الطريقة التي استخدمها الطبيب مع المريض الذي كان يتوهَّم الثعبان في بطنه. انظر: (ص ١٤٦).

(٢) بينما هذه الطريقة العلاجية قد لا تجدي مع بعض المرضى، وخصوصاً مرضى الذهان ممن استحكم على عقولهم إيحاء تلبس الجن فترة من الزمن، فقد تظهر لهم الخيالات البصرية والأصوات الوهمية بصورة حقيقية بالنسبة لهم، أما بالنسبة لغيرهم فلا يرونها ولا يسمعونها، كما وصف ابن القيم رحمه الله الحالة النفسية للفرقة المتصوِّفة إلى أن قال: «فتتشكل تلك المعاني للقوة السامعة بشكل الأصوات المسموعة، وللقوة الباصرة بشكل الأشخاص المرئية، فيرى صورها، ويسمع الخطاب، وكله في نفسه ليس في الخارج منه شيء، ويحلف أنه رأى وسمع، وصدق» [مدارج السالكين (١/ ٤٧)] فينبغي أن لا يكذِّب المريض بما يرى ويسمع، ولن يجدي الحوار معه، فربما يكون فقد الإدراك، فعلى الراقي المعالج أن يوجِّه أسرته بمراجعة الطبيب النفسي مباشرة، والله أعلم، للمزيد: انظر: (كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي) (ص ٢٤٨).

(٣) مذكرة بعنوان: مجموعة من المقالات حول العلاج بالتصوُّر والتخيُّل.

والجواب عن هذا من وجوه:

أولاً: أن سياق كلام ابن القيم رحمه الله ليس للراقي ولم يذكر فيها.

ثانياً: أن كلام الإمام ابن القيم رحمه الله مقيد «بحُذَّاقِ الأطباء» والراقي لا يوصف بهذا.

ثالثاً: هذه الطريقة لو كانت جائزة لكان المريض يعملها بنفسه بدون راقٍ.

رابعاً: إذا كان النبي ﷺ يوم أن سُحر لا يعلم أنه مسحور حتى أتاه الوحي فأخبره عن السحر ومكانه، فكيف بمن يزعم بأن هذه الطريقة تكشف السحر أو العائن الذي عانَ المقروء عليه في أثناء الرقية!؟[1]

ونظراً لخطورة هذه الطريقة على العقيدة وما ينتج عنها من فتنة بين الناس فقد صدر في ذلك فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز - غفر الله له - ولجميع المسلمين، بمنع هذه الطريقة والتحذير منها:

«**جاء في الفتوى رقم ١٩٨٨٥: س: عند قراءة القرآن على المريض وهو مغمض العينين وفي كامل وعيه، فإنه يرى من سَحَره أو الساحر أو مكان السِّحر، أو العائن، فسؤالنا: هل يعتبر هذا الأمر اطلاع على الغيب أم لا؟**

الجواب: رؤية المريض لمن سَحَره أو السَّاحر أو مكان السِّحر أو العائن عند قراءة القرآن عليه لا يعتبر من الاطلاع على الغيب، ومن اعتقد أنه يعلم الغيب بسبب ذلك فهو كافر؛ لأن علم الغيب من اختصاص الله سبحانه، فلا يعلم به أحد من خلقه إلا ما أوحى الله به إلى من شاء من

---

(١) انظر: (ص ١٢٥).

ملائكته ورسله، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[١]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٢]، وما يحدث للمريض من هذا النوع هو من تأثير الشياطين وخداعهم لبني آدم، وإنما يحصل ذلك بسبب استعانة القُرَّاء بالجن، وإن كانوا يتظاهرون بقراءة القرآن والحديث الشريف للتضليل والتلبيس على الجهلة والعوام والسُّذَّج وإيهامهم بأن قراءتهم نافعة، فيسلبون أموالهم ويستغلونهم لمصالحهم وشهواتهم، وهم في الحقيقة من الكهنة والعرافين، وإن صدقوا في ذلك أحياناً وصار الواقع كما رآه المريض فلا ينبغي له أن يركن إليه وينخدع به ويعتقد صحته ويتهم الناس بمجرد ذلك، إذ إن ذلك لا حقيقة له ولا أصل له في الشرع، بل هو من تأثير الجن كما سبق، وننصحك أن لا تلتفت لأوهام قد تؤثر عليك في عقيدتك وتكون سبباً في قطيعة رحمك وإيذاء الناس، وأن تلجأ إلى الله تعالى وتستغيث به وحده في كشف ضرك، ولا ترجو إلا الله ولا تتعلق إلا به وحده، وأن تعالج نفسك بالرقى والأدعية الشرعية الواردة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأن تتعاطى من الأدوية المباحة ما يكون سبباً في شفائك -بإذن الله-.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[٣].

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان	عبدالعزيز آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(١) سورة النمل: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام: ٥٩.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الثانية (ص ١١٢ - ١١٤)، وسيأتي مزيد بحث ص٢١٨.

وقفة حول المقارنة بين المصاب بتلبس الجن أو السحر أو العين والمريض النفسي وغير المريض في أثناء الرقية

لا يظهر أي تفاعل على المريض النفسي أو غير المريض في أثناء الرقية في الغالب – والله أعلم – ما عدا الحركات الإراديَّة على المريض النفسي مثل إيحاء تلبُّس الجن أو السحر[١] وكذلك عدم ملاحظة أي إجهاد بدني حتى بعد الرقية سوى الراحة والاستقرار من جراء سماع القرآن وهذا يشترك فيه جميع المرضى وغير المرضى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٢].

هذا بخلاف التفاعل والحركات اللّاإرادية في أثناء الرقية التي تعتري المصاب بتلبس الجن أو السحر أو العين[٣] كالصراخ أو التخبّط أو التجشؤ أو البكاء أو التقيؤ أو الإغماء أو الصرع الذي يرديه أرضاً، بالإضافة إلى الإجهاد البدني الذي يعيق المريض عن النهوض لمدة تتراوح ما بين خمس دقائق إلى عشرين دقيقة بعد الانتهاء من الرقية في الغالب، وربما ابتلَّ جسمه بالعرق.

أما بالنسبة للمريض المصاب بصرع الأخلاط وهو ما يُسمَّى في هذا الزمن بالصرع العصبي فلا يتأثر في أثناء الرقية غالباً، فقد ينتابه الصرع في

(١) انظر كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١٦٣).

(٢) سورة الأنفال: (آية ٢).

(٣) انظر : قرائن الإصابة بالعين في أثناء الرقية (ص ١١٧).

أي وقت فيسقط ويتشنج وربما تبوَّل على نفسه، أو يصبح جسمه كُتلةً واحـدةً، أو يشخص بصره، وقد يخرج من فمه رغوة أو زبد –في الغالب –[١].

فالعلاقة مرتبطة بين الإصابة المزمنة للمصاب بتلـبس الجـن أو الـسحر أو العين وما بين الأمراض النفسية ارتباطاً وثيقاً خصوصاً حيـنما يغلّـب المـريض المصاب بتلبس الجن أو السحر جانب الرقية على جانب العلاج النفسي.

وكذلك المريض النفسي الذي يغلّـب جانـب العـلاج النفـسي عـلى جانـب الرقية، كما عند أحدهم حينما يصاب بمرض الفصام وتلبس الجن في آن واحد؛ فقد يتحسن بشكل واضح مع الاستمرار على الرقية ماعدا بعض الأعراض الذهانية التي قد تختفي مع العلاج النفسي مثل الخيالات البـصرية والأصـوات الوهميَّة[٢] أو داء العظمة «البارانويا» الذي يتوهّم المريض بأنه المهدي المنتظر، أو يتقمّص المريض عدداً من الشخصيات البارزة التي تتواكب مع بيئته.

فربما غلب على ظن أسرة المريض أو بعض الرقاة في مثل هذه الحالات في أثناء الرقية والتحدث مع المريض أنه مصاب بتلبس مجموعة من الجن.

فينبغي أن نتنبه إلى بعض الأعراض النفـسية المـصاحبة لـدى المـريض النفسي، مثل الخوف المرضي «الفوبيا» الذي ينتج عنه سرعة خفقان القلب وضيق في التنفس دون خلل طبي عضوي كحساسية الصدر أو الربو[٣].

فربما هذا الخوف يعتري المـريض في أي لحظـة سـواءً عنـدما يتعـرَّض لموقف مخيف في مكان ما...، أو نتيجة توتر تحت ضغوط نفسيَّة، أو في أثناء

---

(١) انظر: (ص ٨٧).

(٢) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٤٩).

(٣) المرجع السابق(ص ٢٧٢).

الرقية أو قبلها، خصوصاً بعدما يسمع صراخ من كان قبله من المرضى بداخل غرفة الراقي أثناء الانتظار .

فقد يصاب بنوبة ذعر[١] وتستمر مع المريض إلى حين مواجهة الراقي مع محاولة استنشاق الهواء بشدَّة، فيظن المريض حينما يعاني من هذه الأعراض أنها من أثر إصابته بالسحر أو تلبُّس الجن!

وقد ورد سؤال لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ حول القرائن التي تدل على إصابة المريض بتلبس الجن أو السحر أو العين، ما نصه:

س: بعض أئمة المساجد والشيوخ يقرؤون على الناس بآيات من القرآن والدعاء، فيعلموهم ماذا أصابهم، فبعضهم يقول له: أصابك سحر، وبعضهم يقول: أصابتك عين، إلى غير ذلك من الكلام الذي يقولون، فما حكمكم في هؤلاء، وحكم الذهاب إليهم، وحكم التصديق بهم؟ وهل ما يقولون صحيح؟

الجواب: إذا كان طالب العلم الذي يرقي الناس قد اعتاد علامات يعرفها مما يصيب المسحور، أو علامات يعرف بها العين؛ فلا بأس بذلك، يقرأ عليه ما يسَّر الله من كتاب الله، كالفاتحة، وآية الكرسي، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، أو غيرها من الآيات، الله جعل القرآن شفاءً من العين، ومن السحر أيضًا، حتى قال ﷺ :لا رقية إلا من عين أو حُمَة .

قال العلماء: المعنى: لا رقية أولى وأشفى، أو لا أولى وأنفع إلا من عين أو حُمَة، والعين هي النظرة يسمونها النظرة، هي النفس، والحُمَة السُّمّ من ذوات السموم، وقال -عليه الصلاة والسلام :-لا بأس بالرقى ما لم تكن

(١) للمزيد: انظر كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٧٢).

شركًا وقد رَقى ورُقي -عليه الصلاة والسلام- وأمر أن يُرقى أولاد جعفر وقال: إنها أصابتهم العين قال لأمهم: إنها أصابتهم العين فأمرها أن تسترقي لهم، فالرقية نافعة من العين .

فإذا كان طالب العلم المعروف بالعقيدة الصالحة أنه جرب هذه الأمور، ورأى أن ما في فلان أنه مما يعرف أنه عين، أو أنه سحر، مسحور، فيتعاطى بعلاج السحر، أو علاج العين، النبيﷺ قال :العين حق، ولو أن شيئًا سبق القضاء؛ لسبقته العين وقال : «استغسلوا فإذا عرف العائن يُستغسل؛ يطلب منه أن يغسل وجهه، ويتمضمض، ويغسل داخلة إزاره، وأطراف يديه ورجليه، حتى يصب على المعين، وهو يشفى بإذن الله، أو يرفع بما يسَّر الله من القرآن، من الفاتحة، وآية الكرسي، وغير ذلك، والغالب أنه ينفعه ذلك بإذن الله.

وهكذا المسحور يرقى بالفاتحة، وآية الكرسي، وآيات السحر التي في سورة الأعراف، ويونس، وطه، تقرأ في ماء له مع القواقل -قل يا أيها الكافرون، قل هو الله أحد، والمعوذتين- ويشرب منه بعض الشيء، ويغتسل بالباقي، فينفع الله بذلك كثيرًا ممن يصاب بالسحر.

والسحر واقع، يقع كثيرًا، كما قال الله -جل وعلا- ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: [البقرة:١٠٢].

فالسحر واقع، كثير من الناس... منه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يغير العقل، لهم فيه أنواع من التصرفات، فيستعينون بالجن والشياطين في ذلك، وقد وقع هذا في عهد موسى -عليه الصلاة والسلام- وقام سحرة فرعون بجمع العِصيِّ، والحبال على أعين الناس، وسحروا أعينهم؛ حتى ظن الناس أن هذه العصي وهذه الحبال حيَّات ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦] فلما ألقى موسى عصاه لقفتها وأخذتها كلها، وعرف الناس بطلان هذا السحر، وخر السحرة سجدًا لله تعالى وتابوا وأنابوا إلى الله .

والمقصود: أن هذا له علاج، فإذا عرف بالعلامات التي اعتادها أنه سحر؛ استعمل الرقية من السحر، وذكر بعض المتقدمين أن من أسباب العلاج، وأن مما يدخل في العلاج: سبع ورقات سدر تُدق وتجعل في الماء أيضًا، وأن هذا أيضًا قد ينفع بإذن الله من أمر السحر.

وهكذا في أمر الرجل الذي يُحبس عن زوجته، ويمنع من زوجته؛ إذا قرئ له هذه الآيات مع الفاتحة، مع آية الكرسي، مع قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، وشرب منه، واغتسل بالباقي؛ فالغالب أنه يزول أثره ويطلق حبسه[١] .

وقد ذكرت شيئاً من ذلك حول هذه الفتوى في موضوع التشخيص في كتاب (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي)[٢].

---

(١) موقع الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

(٢) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٣٨).

وقفة حول أثـــر المعصيـــة

للمعصية أثرها السيئ على الدين والدنيا والأبدان والأنفس والبلدان، قال -تعالى-: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ ﴾[١][٢].

هذا وإن الإنسان ليستغرب من بعض حالات الانتحار[٣] وكيف الإنسان يُهلك نفسه بمحض إرادته والله -ﷻ- قد أودع في الناس العقل وحب الحياة، لكن لَمَّا ضعف اليقين بالله، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، أقدم على هذا العمل، نسأل الله السلامة.

وعلى هذا يدرك المسلم الفرق العظيم بين شؤم المعصية وبركة الطاعة.

قـال -تعـالى-: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٤].

وربنا ﷻ لا يظلم أحداً فالجزاء من جنس العمل قال -تعالى-: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[٥]، وفي المقابل قوله -تعالى-: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[٦].

وشتان بين حياة المؤمن وحيـاة الكـافر قـال -تعـالى-: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ

---

(١) سورة الروم: (آية ٤١).

(٢) قال ابن زيد: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ أي: الذنوب، التفسير القيم لابن القيم (ص٣٩١).

(٣) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص٩٤).

(٤) سورة الجاثية: (آية ٢١).

(٥) سورة البقرة: (آية ١٥٢).

(٦) سورة التوبة: (آية ٦٧).

مِنْهَا ﴾[١].

وأعتقد أنه ليس من المناسب، بل ولا يجوز تأنيب المستفيد عن أثر المعاصي كما يجتهد بعض الرقاة في المناصحة في أثناء الرقية خصوصاً في الحالات النفسية المتقدمة ومنها الاكتئاب ، فالمناصحة التي في غير وقتها ربما تتحوّل إلى تثريب بالنسبة للمريض يُثير القلق، فيخالط العقل، ويزيد من حِدَّة الاكتئاب.

وكما قيل: بدلاً من أن تشير إلى الظلام أشعل شمعة .

فالمريض بمثابة الجريح الذي ينزف دماً نتيجة حادث مروري، فينبغي على الـمُسعف[٢] في مثل هذه الظروف، نقل المصاب على الفور إلى أقرب مستشفى في الحال، بدلاً من العتاب الذي لا يجدي مع المصاب على تهوّره في القيادة؛ فالحادث بالنسبة للمصاب في حدِّ ذاته كفيل على أن يرتدع عن أي مخالفة مرورية مرة أخرى.

فالتصرف السليم مع المريض هو معاملته بالتي هي أحسن فعبرة المريض بإصابته بالمرض أبلغ من مناصحته عن التفريط فربما يحتاج إلى من يأخذ بيده ويرشده إلى كيفيَّة التعامل مع معاناته وكيفيَّة تجاوز ما قد يعيد عافيته لكي تطمئن نفسه لمقاومة الاكتئاب ويتعرّف على طبيعة مرضه إلى جانب الرقية، ويُحثّ على دوام الصلة بالله -ﷻ- من خلال الأدعية والأوراد والأذكار وقراءة القرآن والصلوات؛ لأن من لازمها نهته عن الفحشاء والمنكر.

---

(١) سورة الأنعام: (آية ١٢٢).

(٢) كما قال ابن القيم ﷺ (التلطف بالمريض والرفق به كالتلطف بالصبي): زاد المعاد، (٤/ ٢٠٦).

وقفة حول أثر الفراغ

حياة المؤمن مليئة بالأعمال الصالحة ولا يوجد فيها فراغ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [١]، أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب في العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال، وأخلِص لربك النيَّة والرغبة[٢].

فعن عبدالله بن بسر ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبَّث به؟ قال: (لا يزال لسانك رطب بذكر الله) [٣].

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [٤].

قال شيخ الإسلام ﷺ: فالسكوت بلا قراءة ولا ذكر ولا دعاء، ليس عبادة ولا مأموراً به، بل يفتح باب الوسوسة، فالاشتغال بذكر الله أفضل من السكوت[٥].

وصح عنه ﷺ أنه قال: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)[٦]، فكثير من الناس يفرط في صحته وعدم الاستعانة بها على الأعمال

---

(١) سورة الشرح: (آية، ٧، ٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٣)، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا.

(٣) أخرجه الترمذي، رقم ٣٣٧٥، وصححه الألباني.

(٤) سورة الطور: (آية: ٤٨، ٤٩).

(٥) الفتاوى الكبرى (٢/ ٢٩٨).

(٦) أخرجه البخاري، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، حديث رقم (٦٤١٢) (٨/ ٨٨).

الصالحة في وقت فراغه، وهذه هي الخسارة الكبيرة، والغبن العظيم.

والفراغ من أسباب انحراف الشباب كما قال أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجِدَة[١] مفسدة للمرء أي مفسدة[٢]

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: «فالفراغ داء قتَّال للفكر والعقل والطاقات الجسميَّة، إذ النَّفْس لا بد لها من حركة وعمل، فإذا كانت فارغة من ذلك تبلَّد الفكر، وثخن العقل، وضعفت حركة النفس، واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب، وربما حدث له إرادات سيئة شريرة ينفِّس بها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ.

وعلاج هذه المشكلة أن يسعى الشاب في تحصيل عمل يناسبه من قراءة أو تجارة أو كتابة أو غيرها مما يحول بينه وبين هذا الفراغ، ويستوجب أن يكون عضواً سليماً عاملاً في مجتمعه لنفسه ولغيره»[٣].

وقال الدكتور محمد كامل حسين، والدكتور عبد الحليم العقبي عن رأي الطبيب الرازي بأن أكثر أسباب الماليخوليا[٤] هو الفراغ قول يجب أن يتدبره كل إنسان مريضاً كان أو معالجاً[٥].

---

(١) الجِدة: الغنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[العلق: ٦، ٧].

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (٢/ ٢٦٦).

(٣) من مشكلات الشباب، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص ٢٣).

(٤) سبق تعريفها في كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي انظر: (ص٢٤).

(٥) انظر: الطب النفسي المعاصر، د. أحمد عكاشة (ص ٢٦).

وقفة حول الأخطاء الشائعة

تكرر من بعض المراجعين مفاهيم خاطئة، وربما نقلوها من بعض الرقاة، ومنها ما يلي:

١ – تحديد مدَّة معيَّنة لتكرار جلسات الرقية، وربما يصل بعضها إلى عدَّة أسابيع أو أشهر، وهذا الكلام غير صحيح ويحتاج إلى دليل، فربما هذه الطريقة تُعزِّز الوهم[١] لدى المستفيد.

٢ – اعتقاد بعضهم بأن الجانّ المتلبِّس بالإنس لا ينطق إلا بعد عدَّة جلسات[٢]، وهذا الكلام غير صحيح ويحتاج إلى دليل.

٣ – دخول أكثر من جنِّي[٣] في بدن المصروع، وهذا الكلام غير صحيح ويحتاج إلى دليل.

٤ – رقية المنازل، وهذا الكلام غير صحيح، كما ذكر الشيخ الدكتور/ عبدالله السند في الطرق المبتدعة: د – تحصين البيت من السحر والعين، وذلك بالشخوص للمنزل والرقية في أركانه وأساساته، وبعض الغرف[٤].

٥ – اعتقاد بعضهم بأن استعمال المريض للأدوية[٥] يحجب أثر الرقية وهذا الكلام غير صحيح؛ بخلاف قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[٦]، فكيف بعقاقير طبيَّة ونحوها؟!

٦ – اعتقاد بعضهم بأن المرض يزداد على المقروء عليهم بعد الرقية دليل على ضعف الجانّ المتلبِّس بالمقروء عليهم أو السحر أو العين! وهذا الكلام

---

(١) انظر: (ص ١٤٢).

(٢) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١١٦).

(٣) انظر: (ص ١٥١).

(٤) كتاب أحكام الرقية (ص٨٤).

(٥) للمزيد: انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص١٨٩).

(٦) سورة الحشر، (آية: ٢١).

غير صحيح وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[١]، والعكس صحيح، فكلَّما ضعُف الجانّ المتلبِّس بالمقروء عليه أو السحر أو العين في أثناء الرقية، كلَّما قوي جسده بعد الرقية بإذن الله -ﷻ-، فقد يتألم المقروء عليه في أثناء الرقية، كما يتألم المريض في أثناء العمليات الجراحية، ولكنه يتماثل للشفاء بإذن الله بعدها.

ومن جهة أخرى فقد يكبِّل الراقي[٢] المقروء عليهم بتوهُّم السحر! وربما ترتَّب على ذلك مفاسد كثيرة وقد تجرُّه إلى العداوة بينه وبين أحد أفراد أسرته أو أحد أصدقاءه، أو أحد زملاءه، أو أحد العمالة المنزلية، أو أحد أفراد الدائرة المحيطة به، بأن أحدهم هو الذي عمل هذا السحر، وربما دفعت هذه العوامل إلى معاناة المستفيد بالقلق أو الاكتئاب.

وعلى كل حال علينا ألا نُغلِّب الجانب السلبي على الجانب الإيجابي لبعض الرقاة، فكم من المرضى شفاهم الله سبحانه وتعالى بسبب الرقاة، وعموماً، فإن هذه أسباب شرعها الله ﷻ وإلا فالشفاء من عنده سبحانه وتعالى، وكم من مرضى شفاهم الله بدون أسباب، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

وفي الختام:

أسأل الله – ﷻ – أن يشفي مرضانا ومرضى المسلمين، وأن يُعزَّ الإسلام والمسلمين، وأن يحفظ بلادنا وولاة أمرنا وعلماءنا من كل سوء ومكروه، وأن يكفينا شر الأشرار، وطوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير يا رحمن، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة فصلت، (آية: ٤٤).

(٢) كما فعل ذاك الراقي. انظر: (ص١٤٢).

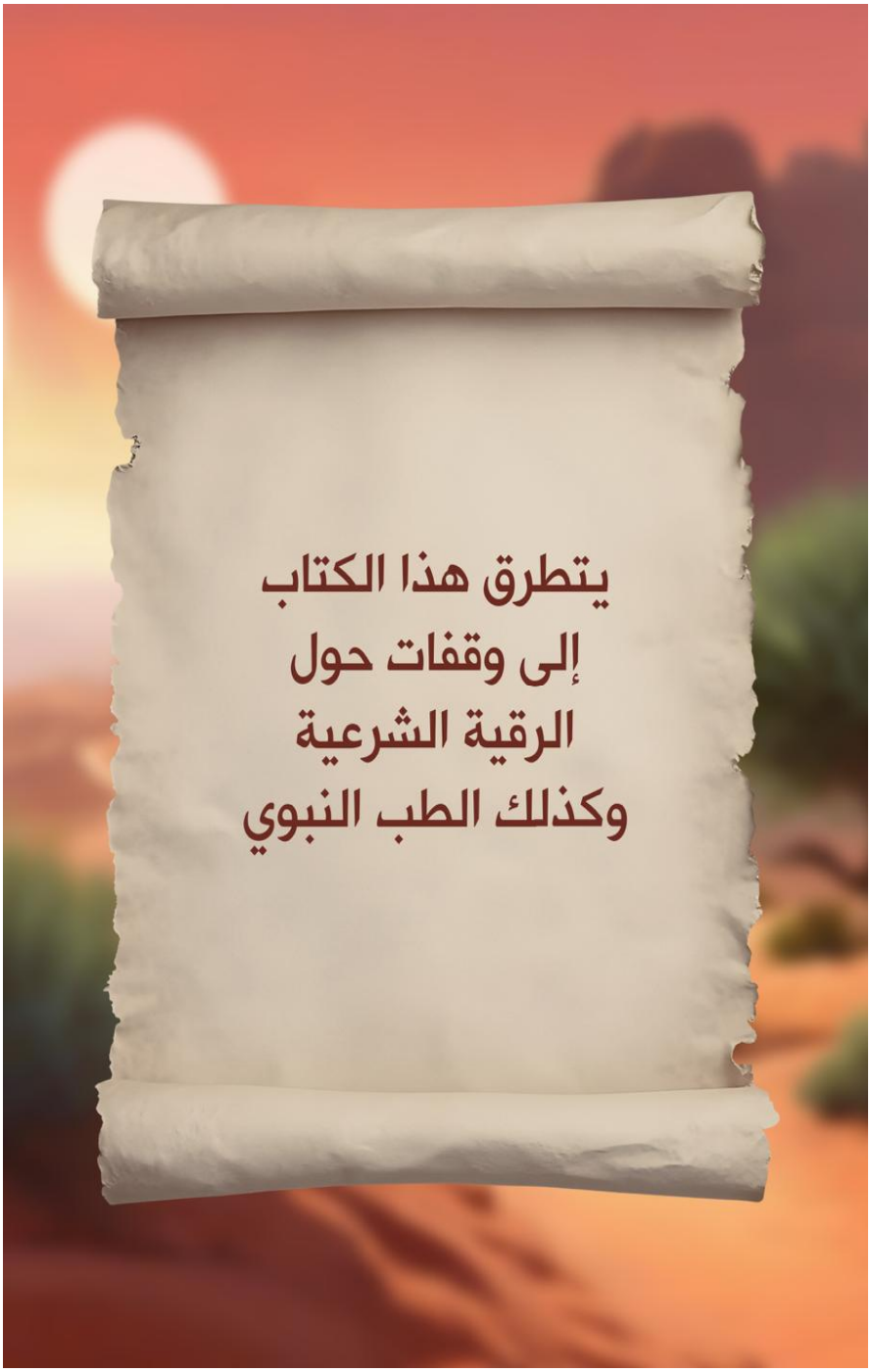
يتطرق هذا الكتاب
إلى وقفات حول
الرقية الشرعية
وكذلك الطب النبوي